رشيد الذوادى

تونس

الخفاجى أديباً .. وناقداً

تقديم د. عبد العزيز شرف

رئيس القسم الأدبى بجريدة الأهرام

رابطة الأدب الحديث

ـــــداء 2005

الشاعرة/ خليلة رضا

القاهرة

رشيد الذوادى
تونس

الخفاجى أديباً .. وناقداً

تقديم د. عبد العزيز شرف
رئيس القسم الأدبى بجريدة الأهرام

رابطة الأدب الحديث



تصدير

بقلم الناقد الأدبى الكبير

عبد العزيز شرف رئيس القسم الأدبى بجريدة الأهرام

الخفاجى أديباً وناقداً

لا شك أن كتاباً للأديب التونسى الكبير / رشيد الذوادى عن «الخفاجى أديباً وناقداً» جدير بالأهتمام والتقدير والثناء .

والخفاجى « أديباً » يعمل فى الحقل الأدبى منذ سبعين عاماً وأثرى البحث الأدبى بمؤلفات تبلغ أكثر من خمسمائة كتاب مطبوع عدا المخطوطات التى لاتزال تنتظر الطبع .

والخفاجى « ناقداً » كتب عشرات الكتب فى النقد ومئات المقالات فى هذا المجال أيضاً ، وحقق العديد من كتب النقد القديم تحقيقات علمية رائعة.

وقد كتب المستشرق المجرى عن الخفاجى دراسة مطولة منشورة فى كتاب « فصول الفكر المعاصر » للأديب المهندس ماجد خفاجى ، وقرر فى هذه الدراسة أن الخفاجى قد بلغ القمة فى دراسة الشخصية الأدبية ، ورسم فيها مناهج جديدة . ،فى مقدمة كتبه فى هذا المجال كتابه « رائد الشعر الحديث » بجزئية الذى كان ولا يزال المصدر الأول فى دراسة شخصية أحمد زكى ابو شادى رائد مدرسة ابولو ، بل وفى دراسة هذه المدرسة الأدبية الجديدة « مدرسة ابولو » ، وكتاباه عن ابن المعتز والجاحظ جديدان

فى الدراسة والتحليل للشخصيات الرائدة فى الفكر والأدب فى التراث العربى القديم والحديث .

وقد أثرى الخفاجى النقد بالجمع بين المناهج القديمة والحديثة فيه . وله نظريات كاملة فى مدارس النقد العربى القديم والجديد .

ودراساته فى النص الأدبى ولأعلام الأدباء تسجل جوانب كثيرة من التجديد والابتكار ، وهو يرى أن النص صورة لعصره ولمجتمعه ولكاتبه وللمذهب الذى يمثله صاحب النص .

وفى الموازنات الأدبية سجل الخفاجى كثيراً من الأفكار الجديدة ووازن بين أكثر من نصين فى كتابة « ابن المعتز » ، وفى كتبه الأخرى .

والخفاجى كتب فيه الكتاب والأدباء والنقاد كثيراً ، وصدرت عنه كتب عديدة فى دراسة شخصيته وأدبه ، وكتب عنه بعض المستشرقين ، ويقول ابو شادى عنه إنه ظاهرة فذة فى تاريخ الثقافة العربية ، ومن أجل ذلك لقب بجاحظ العصر ، وبالسيوطى الثانى .. كما كتبت عنه رسائل جامعية عديدة.

وبحسنا هذه الدراسة التى كتبها الأديب التونسى الكبير الأستاذ الذوادى.. فهى تغنى عن كل كلام .

عبد العزيز شرف

القسم الأول
مؤثرات .. وتأثيرات

الخفاجي وصفحات من حياته

١ - يزخر الوطن العربى فى العصر الحديث بالرجالات والعظماء والمفكرين الذين أنجبهم ، وأعطوا الاضاءة المثلى لهذه الحقبة الرائعة ، ونادوا بمواصلة السير من أجل الانعتاق والصحوة الكبرى . ومن هؤلاء العظماء : عبد الكريم الخطابى ، وعبد الحميد بن باديس ، وعبد العزيز الثعالبى ، ومحمد عبده ، وسعد زغلول ، ود . طه حسين ، وعباس محمود العقاد ، وزكى مبارك ، ومحمد مندور ، و د . زكى نجيب محمود ، ونجيب محفوظ ، ود . ابراهيم مدكور ، ود . محمد عبد المنعم خفاجى ، وهؤلاء الرواد والعظماء ، سوف تتوارث أجيالنا الاعتزاز بمواقفهم الشجاعة ، وبما قدموه للتاريخ الفكرى والسياسى من جليل الأعمال والمواقف .

- فعبد الكريم الخطابى : ثائر من ثوار العرب الشجعان ، أخلص لقضية بلاده وأسهم بكفاحه فى معارك النضال والقومية فى المغرب الشقيق.

- وعبد الحميد بن باديس : مصلح مستنير حارب البدع ، وأسس مدرسة الاصلاح فى الجزائر ، وأعطى شحنة للشخصية حينما هتف فى الحفل الذى أقامته (جمعية التربية والتعليم) بقسنطينة بمناسبة (المولد النبوى) عام ١٣٥٦ هـ (١٩٣٧ م) قائلاً :

هــذا نظـام حياتنـا   بالنـور خـط وباللـهب

حـتى يعـود لشعبنـا   من مجـده ما قـد ذهـب (١)

- وسعد زغلول : الذى أذكى جذوة الحرية فى مصر ، وقاد ثورة

---

(١) انظر ترجمة عبد الحميد بن باديس فى كتاب : (رواد الاصلاح) : رشيد الذوادى - ط٢ عام ١٩٨٤ - ص ٨٠١ / ١٣٥ .

١٩١٩ الشهيرة . . يصفه الدكتور طه حسين بقوله : " كان دائماً صورة صادقة دقيقة لروح الشعب المصرى الحديث " [١] .

- وطه حسين : الباحث عن أعمق القضايا الفكرية ، وصاحب القراءات الجديدة فى الأدب العربى ، وفى التاريخ الأسلامى .

- والعقاد : السياسى والناقد والشاعر ومؤلف (العبقريات) .

- وعبد العزيز الثعالبى : الذى كان أحد مؤسسى مدرسة الفكر الحر، وأحد زعماء الحركة الوطنية فى تونس .

- وزكى مبارك : الأديب والناقد ، والحالم بالمجتمع الفاضل ، والحياة المثلى ، لكنه وجد الحياة شيئاً آخر ، فافتقد الواقع وعاش طوال حياته ثائراً وحائراً [٢] .

- ونجيب محفوظ : الروائى والمبدع العربى الشهير .

- ومصطفى السحرتى : صاحب النظريات والمناهج النقدية المعاصرة

- خفاجى : الذى لقبه العديد من المفكرين بـ (جاحظ العصر) .

٢ - والخفاجى هو : محمد بن عبد المنعم بن خفاجى بن سليمان بن حسن بن مصطفى بن أحمد الخفاجى ولد فى (تلبانة) مركز المنصورة فى ١٠ رمضان سنة ١٣٣٣ هـ (٢٢ يوليو١٩١٥ م) . ووالده هو الشيخ عبد المنعم خفاجى ، وكان رجلا تقيا صالحا عابدا ، يقضى ليله كله فى التهجد وتلاوة القرآن الكريم ، ودرس فى الأزهر ، لكنه لم يكمل تعليمه

(١) انظر (فى أعقاب الثورة المصرية) : عبد الرحمن الرافعى ـ ج ١ ـ ٢١٣ .

(٢) راجع ترجمة هذا الكاتب فى كتاب : (أدباء من مصر) : رشيد الذوادى - ط مصر ١٩٩٥

هناك ، اذ بمجرد ما أن أعفى من الجندية سنة ١٨٩٨ م حتى اختاره أحد أثرياء الاسكندرية رئيسا لدائرته الزراعية فى (المتوه وجالية وكفر تليانة) أما والدته : فهى (شوق نافع خفاجى) وكانت امرأة صالحة تعطف على الفقراء والمساكين ، وقد توفيت سنة ١٩٥٦ .

يقول خفاجى عن والده : " .. كنت أذهب فى صغرى مع والدى الى القرى المجاورة ليزور أقارب لنا فيها ويغدق عليهم من المال والهدايا "(١).

٣ - ودرس الخفاجى أولا بالزقازيق ، وأشتهر لدى أساتذته هناك ، بالنبوغ والذكاء ، وعايش فى هذه المدينة شيوخاً أجلاء منهم : منصور رجب، والشيخ محود ابو العيون .. ومن زملائه : الامام محمد متولى الشعراوى، والشيخ جاد الحق على جاد الحق، وسيد نوفل وسواهم .

وفى مدينة الزقازيق اختاره الظلبة ليكون ممثلاً لهم فى لجنة وطنية ساهمت فى ثورة الشباب سنة ١٩٣٥ .

وفى هذه المدينة ، كانت بداية حياته الأدبية ، حيث نشر بعض بحوثة فى (جريدة الجهاد) وفى مجلة (السياسة الأسبوعية) ، وأنضم الى جماعة ابولو ، كما أصدر فى سنة ١٩٣٦ ديوانه الأول : (وحى العاطفة).

وفى القاهرة ، التحق بكلية اللغة فى (الأزهر) ، وتعرف وهو طالب بالكثير من الزعماء والأدباء ، منهم : مصطفى النحاس ، أحمد لطفى السيد، ومصطفى عبد الرازق ، وعباس محمود العقاد ، وصالح جودت ، ووديع فلسطين ، وزكى مبارك ، ومصطفى السحرتى .. الذين كانوا يجلونه

(١) انظر : (من مواكب الأيام) - ط القاهرة ١٩٩٥ - ص ١٩٢ .

لمواقفه وعزة نفسه .. وحصل على الاجازة عام ١٩٤٠ . وتخرج فى (جامعة الأزهر) بشهادة الدكتوراه سنة ١٩٤٦ ، واشتغل بعد تخرجه فى صحف عديـدة كـ (الأهرام)،و(الأساس)،و(الدستور)،و (السياسة) ، كما اتصل بمجلات (الرسالة) ، و (أبوللو) ،و (الأزهر) .

وعين مدرساً للغة العربية فى المعهد الفرنسى بالقاهرة فيما بين أعوام : (١٩٤٤ - ١٩٤٦) ، ثم فى االمعاهد الأزهرية : (١٩٤٦ -١٩٤٨) ، وأثر هذه المرحلة ، رشح للتدريس فى (كلية اللغة العربية) بجامعة الأزهر فى بداية عام ١٩٤٨ ، واختير فيما بعد عميدا لكلية اللغة : (١٩٧٤ - ١٩٧٨) [١] .

والخفاجى الذى ناضل أكثر من سبعين عاما فى مجالات الأدب والفكر، توج تاريخه الحافل باختياره ضمن (٥٠٠ شخصية فى العالم) من طرف (المعهد الأمريكى للسيرة الذاتية) فى مدينة (كارولينا الشمالية) بالولايات المتحدة . وكرمته مصر أيضاً فى سنة ١٩٨٣ [٢] ، حيث منحه الرئيس مبارك (وسام العلوم والآداب والفنون) من الدرجة الأولى .

ويبقى الخفاجى - بعد كل الذى أوردناه عنه - هو ذلك الرجل المتواضع ، والانسان الطيب ، الذى يمنحك الدفء فى أيام الصعاب والشدائد . وهو ذلك المفكر الذى لا يتخلى عن أصدقائه ، ويضحى بأغلى ما عنده فى سبيلهم .. وهو الكاتب الأصيل والناقد والأديب والشاعر والعالم ، ورجل دين المستنير ، الذى أعطى وصدق فيما أعطى .

---

(١) انظر (السلسلة العالمية الدولية للمفكرين) المجلد السادس سنــة ١٩٨٥ : ص ٥٦٠ (سلسلة تصدر عن المركز العالمى للسيرة الذاتية بكمبردج .

(٢) صفحات من الفكر العربى : د.زهران محمد جبر - ط١ القاهرة ١٩٩٠ص١٨، ١٩ .

وشهرته بالنقد كشهرته بالشعر ، وشهرته بالتأليف والأطلاع الغزير والقراءات الواسعة ، وبالموسعة الغزيرة التى تعى كل امور الثقافة والمعرفة الانسانية ومن أجل ذلك لقبوه بالجاحظ الجديد ، وبالسيوطى الثانى ، وشهرته فى أنحاء العالم العربى معروفةوذائعة .

كتب للخفاجى سعد بن عايض العتيبى الأديب السعودى المعروف رسالة تاريخها ١٥ رمضان ١٤١٧ هـ يقول فيها للخفاجى :

أستاذى العزيز : هل تأذن لى ان أعبر عمّا أكن لك من عظيم الحب، والتقدير والإعجاب ، فمنذ سنوات وأنا أتابع بإهتمام ما يسطره قلمك من مقالات وبحوث شائقة فى : الأديب ، والأهرام ، والهلال،والمنهل ، والمجلة العربية وغيرها من المجلات ، وأذكر من تلك المقالات على سبيل المثال لا الحصر :

١ - الإسلام والحضارات المعاصرة - المجلة العربية - العدد الثانى- يوليه ١٩٧٦ م .

٢ - الزيات "مذهبه فى الأدب" - الهلال - العدد يونيه - ١٩٨٠م.

٣ - مدرسة شعراء المهجر - الفيصل - العدد ٥٨ - فبراير ١٩٨٢م.

٤ - السحرتى .. ناقد من جيل الرواد - الفيصل - العدد ٩٦ - مارس ١٩٨٥ .

٥ - عبد الرحمن شكرى .. من رواد « الديوان » - الفيصل - العدد ١٣١ - اغسطس ١٩٩٥ .

٦ - أحمد حسن الزيات. .- الفيصل- العدد ٢٢٥-أغسطس ١٩٩٥.

٧ - الحب والحرب فى القصر الكبير - الهلال - أكتوبر ١٩٧٩ م .

٨ - أضواء على الطريق - الفيصل - عدد ٤٢ - نوفمبر ١٩٨٠ م .

٩ - الفكاهة عند العرب - الهلال - يونيه ١٩٨٧ م .

١٠ - رواد مدرسة المديوان - الهلال - أغسطس ١٩٨٠ م .

١١ - خليفة شوقى .. عزيز أباظة - مجلة الهلال - يولية ١٩٨٠م

كما كنتُ مواظبا على قراءة بابك الشائق فى « الهلال » والذى عنوانه « ذخائر المكتبة العربية » علاوة على مؤلفاته العديدة الأخرى .

انني سعيد حقاً بمعرفتى بك عن كثب واعتقد أن صورتك التى رسمتها فى مخيلتى متطابقة مع صورتك التى عرفتها عن قرب .. تحياتى واحترامى .

صور من فكر الخفاجي

١ - لسائل أن يسأل : كيف يكون للنص قيمة ؟ وكيف يحقق المبدع والمفكر رسالة التواصل ويثرى حلقات الحوار ؟

وقد رأينا فى مختلف حقب التاريخ أن (مضمون التعبير) و (شكله) كلاهما لم يكن (وهما) ، بل كان ترجماناً للتعبير عن القضايا والهموم ، وتختفى فيهما (أبنية النص) واشاراته وردود المتلقى .

و (النص) حتى ولو كان سهل التحليل ، فهو يشير باستمرار الى التحولات ، والى (الموقف الواضح) ، ويعبر عن الأذواق والقضايا) ، وعن التقاليد الاجتماعية والمحيط .

وفى قراءنا العديدة للنصوص والمواقف الفكرية ، أمكننا أن نرى سر التواصل العادى للحوار بين المرسل والمتلقى ، كما وجدنا أحياناً أن هذا التواصل مر بمنحنيات ، ووجدنا أيضاً صفحات من النضال اليومى للكثير من المفكرين الذين حققوا سننا اجتماعية ومحطات اضاءة فى (الواقع المعيشى) . .وأمر هؤلاء قد يبدو يسيرا فى أول وهلة ، ولكن باستقصاء أخبارهم ومواكبة نتاجاتهم ، يستوقفنا تاريخ حافل ، ويشدنا هذا التاريخ الى الماضى والذكرى ، ويحول رؤانا على الاستبصار والتدبر ، ويهيىء لنا قدراً من الوعى النافذ والقرار الأصيل . وفى مراحل عبور هؤلاء فى حركة الزمن، تستوقفنا أسماء وشخصيات وأعلام ، من هؤلاء : الكاتب والمفكر الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى .

٢ - والخفاجى تعرف فى الأزهر على فكر محمد عبده ، ورشيد رضا، ومصطفى عبد الرازق ، ومصطفى المراغى ، وفى الأزهر عرف

أحمد حسن الباقورى ، ود. عبد الحليم محمود ، والشيخ محمد متولى الشعراوى ومن زملائه فى الأزهر الدكتور عبد الرحمن بيصار ، وعين معه فى (جامعة الأزهر) فى سبتمبر ١٩٤٦ ، وسافر معه فى إعارة الى ليبيا فيما بعد. وقد تولى الدكتور بيصار مشيخة الأزهر بعد وفاة الشيخ عبد الحليم محمود عام ١٩٧٩ .

تأثر الدكتور خفاجى بفكر الامام محمد عبده ومدرسته . قرأ فكر هذه المدرسة المتمثل فى تراث اعلام الفكر المعاصر مثل أحمد لطفى السيد والدكتور هيكل ومصطفى عبد الرازق وسواهم ، وصلته بالشيخ محمد أبو زهرة وثيقة ، وترك هذا العالم الدينى الكبير عند وفاته تراثاً خالداً .

وأبو زهرة هو الذى أختاره فى لجان كتابة (تفسير القرآن الكريم) الذى قامت به (وزارة الأوقاف) ، وطبعه المجلس الأعلى للشئون الاسلامية فى مصر (١) .

والخفاجى الكاتب والمؤلف ، هو ظاهرة فكرية متميزة بحق .. وهو أمتداد رائع لفكر شيبوخ الأزهر الخالدين أمثال : محمد عبده ، مصطفى عبد الرازق ومحمود شلتوت وسواهم .

وقد ألف عن (الأزهر) كتابة المعروف : (الأزهر فى ألف عام) ، ويقع هذا الكتاب فى ثلاثة أجزاء .

وقصة (الخفاجى) مع الأزهر قصة طريلة وشائقة . . .

و (الأزهر) جامعة الإسلام الكبرى وهو مجد مصر ، وفخر الثقافة

---

(١) انظر كتاب : (مواكب الحياة) للخفاجى - ط القاهرة ج١ - ص٥٩-٦٢ .

الإسلامية والعربية وهو قبلة العالم كله ، وأكرم به من (جامعة) ، والخفاجى / هو من أعلام مصر والأزهر فلا غرو أن نرى مجلة (الأزهر) تقدمه فى عام ١٩٨٣ كأحد (أعلام الأزهر) الكبار [١] . ودفاع (الخفاجى) عن هذه (الجامعة) وعن شيوخها ، كان مضرب الأمثال .

ومثل الخفاجى (جامعة الأزهر) فى مؤتمرات دوليـة عديدة ، منها:(المهرجان الألفى لابن زيدون) فى الرباط عام ١٩٧٥ ، و (مؤتمر الأدب العربى) فى (ممباد) بالهند . سنة ١٩٨١ ، و (المهرجان الثقافى والأدبى) فى الخرطوم عام ١٩٧٥ ، و (ذكرى محمد الطاهر بن عاشور) بتونس سنة ١٩٨٤ .

وكتابات هذا العالم فى الشئون الدينية غزيرة جدا منذ عام ١٩٣٠[٢]، حيث كتب عن (الحضارة الإسلامية) وعن (الإسلام وحقوق الإنسان) سنة ١٩٥١ ، ونشر فى مجال الدراسات الإسلامية أكثر من عشرة الاف مقالـة فى مختلـف المجـلات العـربية ، وأذيع بعضها فى إذاعـات مصـر و (صوت العرب) [٣] ، واذاعات عربية أخرى .

ومواقف الخفاجى الوطنية كثيرة نراه إثر تصريحات (صمويل هور) وزير خارجية انجلترا فى ٩ نوفمبر ١٩٣٥ ، حينما أعلن أن بريطانيا لن تقبل المفاوضة مع مصر لانهاء الاحتلال ، وأنها لا تود الرجوع الى دستور

---

(١) راجع دراسة بعنوان : (أعلام من الأزهر) : (العالم الموسوعى الكبيرد. الخفاجى) - مجلة (الأزهر) - عدد جمادى الأولى ١٤٠٣ هـ (فبراير ١٩٨٣)

(٢) انظر : (صفحات من الفكر المعاصر) : د. زهران محمد جبر - ط. أولى ١٩٩٠ - ص٥٩ .

(٣) المصدر نفسه - ص٦١ .

١٩٢٣[1] يقود مواكب الطلبة والشباب فى الزقازيق عاصمة الشرقية ، وكان الخفاجى فى هذه المرحلة نائبا لرئيس لجنة الطلبة بالزقازيق . . أما الرئيس فهو زميله الشعراوى. وفى ثورة الشباب المصرى سنة ١٩٣٥ قاد د. خفاجى المظاهرات الاجتماعية واعتقلته الشرطة مرات عديدة [2] . وفى عام ١٩٤٦ تزعم مظاهرات طلاب أسيوط واعتقلته الشرطة وسقط فى المظاهرات التى قادها الكثير من الشهداء الى أن انتصر الشعب . وفى معارك بلدان المغرب العربى مع الاستعمار الفرنسى تزعم الخفاجى حركة المطالبة بحرية الشعوب العربية وقاد مظاهرات الأزهريين فى الزقازيق سنوات ١٩٣١ و ١٩٣٢ و ١٩٣٤م . وهى تنادى بالحرية لليبيا وتونس والجزائر ومراكش .

وفى عام ١٩٥١ ، أصدر الخفاجى كتابه الشهير : (الإسلام وحقوق الإنسان) ، تحت عنوان : (مشكلات يجب علاجها) وهكذا تتعدد نضالات خفاجى وموقفه الشجاعة عبر رحلة طويلة وشاقة . .

ويرد على أستاذ من دار العلوم كتب فى مجلة الهلال (أبريل ١٩٧٧) يهاجم الازهر هجوما شديدا .

٣ ـ وللخفاجى مواقف تاريخية عديدة منها :

دعوته الى انشاء (مجمع فقهى) فى سنة ١٩٦٢ . . وفعلا تحقق هذا المشروع العظيم بقيام هذا (المجمع) فى مكة المكرمة عام ١٩٨٤ [3] .

---

(١) راجع (مواكب الحياة) : خفاجى - ج١ - ص٢٦ .

(٢) راجع تفصيلات عن ثورة الشباب المصرى سنة ١٩٣٥ ، فى مقال الخفاجى بصحيفة (مايو) : ١ ابريل ١٩٨١ بعنوان : (ذكريات خالدة) .

(٣) انظر :من مواكب الأيام - خفاجى - ط القاهرة ١٩٩٥- ص١٥ .

تأسيسه مع مختار الوكيل ود. عبد العزيز شرف (جماعة أبوللو الجديدة) سنة ١٩٨٢ .

وتأسيسه فى سنة ١٩٨٦ بالاشتراك مع د. عبد العزيز شرف : (سوق الفسطاط للشعر) على غرار (سوق المربد) ، كما أصدر بالاشتراك مع د. شرف مجلة (الحضارة) الشهرية منذ عام ١٩٨٤ .

اقتراحه بانشاء (أكاديمية ثقافية وأدبية تشرف على نواحى الثقافة الأدبية فى مصر [١] .

نداؤه الحار باصدار (تاريخ قومى) لمدينة المنصورة ، وكان هذا النداء منذ أيام حسين رأفت مدير الدقهلية فى عهد الملكية ، لكن القصر والحكومة أيام فاروق رفضا المشروع من أساسه .

دعوته أثناء الاحتفال بعيد المنصورة القومى عام ١٩٤٥ ، ومرور ٧٥٠ سنة على تأسيس هذه المدينة ، بانشاء جامعة المنصورة ، وتحقق هذا المطلب بعد قيام الثورة .

ولو عدتم الى بعض كتاباته ، خاصة بعد انتخابه فى نوفمبر ١٩٧٥ عضوا فى مجلس اتحاد الكتاب ، وكان يرأس هذا المجلس توفيق الحكيم، لو عدتم الى بعض كتاباته فى المجلات الفكرية فى مصر ، لقرأتم فيضا من فكر هذا العالم الموسوعى المخلص لأمته العربية وللأزهر منارة الاسلام ، فهو الذى وضع دراسات عن (الاقتصاد الاسلامى) ، وهو الذى طالب بتسمية (كلية طب الأزهر) ب (كلية طب ابن سيناء) ، وهو الذى ألح على تأسيس مسجد حول (جامعة الأزهر) فى مدينة نصر ، وهو الذى قدم

(١) راجع (مواكب الحياة) : الخفاجى - ج١ - ص ٣٩٦ .

اقتراحا أخذ بعين الاعتبار فى جلسة (مجلس الأزهر الأعلى) بتاريخ ١٩٧٧/١٢/٨ يقضى بإنشاء (كلية تربية بأسيوط) ، وهو الذى طالب باعادة (جامعة الفسطاط الإسلامية) تابعة للأزهر [١] .

ومن مواقفه التى لا تنسى ما كان فى احدى الحوارات الفكرية بالقاهرة والتى تمحورت حول : « الأصالة والمعاصرة فى الشعر ومنزلة أسلافنا فى التراث العربى » .. وفى هذا الحوار تهجم د. لويس عوض على كل قديم، وانتصر له د. عبد العزيز الدسوقى ، لكن الدكتور خفاجى دعا يومئذ الى الالتزام بمبدأ (الرأى والرأى الآخر) ، وسمع وزير الثقافة بما جرى فى هذه الندوة ، وفى (أهرام) ١٩٧٩/١٢/٧ ساند الوزير رأيه قائلا : « ان السياسة الثقافية فى مصر لن تخضع للرأى الواحد » [٢] ، وهو تأكيد جديد لما كان ينادى به الخفاجى من قبل ، وبخاصة ما كتبه فى مقالتـه الشهيرة فى (الثقافة) المصرية [٣] .

ومن مواقفه المأثورة أيضا :

نداؤه فى الستينيات بانشاء (مؤسسة للقرآن الكريم) . وفعلا تم انشاء هذه المؤسسة [٤] ، ونالت صدى واسعا .

ودعوته للعناية بالأدب الاسلامى ، والاهتمام بأعلامه البارزين . وذلك فى كتابه (الأدب العربى الحديث ومدارسه) الصادر سنة ١٩٦٧ . وتحقق رجاؤه . بعقد الندوة الدولية للأدب الاسلامى فى القاهرة (أبريل ١٩٨١) .

---

(١) المصدر السابق – ص٣٩١ .

(٢) الأهرام بتاريخ ١٩٧٩/١٢/٧ .

(٣) مجلة (الثقافة) – عدد نوفمبر ١٩٧٩ .

(٤) مواكب الحياة : خفاجى – ج١ – ص٣٩٥ .

ويقول فى دفاعه عن اللغة العربية : « انها لغة عالمية الى القرن التاسع عشر ، حيث أفسد الاستعمار مناهج التعليم العربى الإسلامى الرفيع فى حين العالم العربى أن اللغة العربية والأدب العربى قد بلغا الغاية من حيث الأداء والمعنى والفصاحة والبلاغة ، ويكفى أن يكون عميد الأدب العربى من أبناء هذا الجيل » (١) .

أو ليست هذه المواقف كافية للدلالة على عمق فكر هذا المفكر الكبير وبعد نظره ؟

(١) المصدر السابق - ج٢ - ص ٤٨٦ .

الخفاجي .. وتونس

١ ـ الخفاجى هو ذلك الأديب والكاتب الكبير الذى تحدث فى أكثر من كتاب عن أصدقائه وذكرياته . .وذكريات العالم الجليل تثير فينا الغيرة والحماس المفرط :

الحماس لعزة وطنه الكبير

والحماس لدراسة التراث لنزداد اعتزازا بالفكر والمعرفة .

والحماس لقضايا الفكر ، والأصالة .

فالخفاجى (العالم الموسوعى) والذى وضعت عنه العديد من الدراسات الجماعية [١] وبلغت مؤلفاته خمسمائة كتاب مطبوع بين (التحقيق والدراسة والابداع) [٢] ، وعاش للكتابة والقلم ، وللرأى الحر ، ووفق فى الدعوة الى المناهج الاسلامية فى الثقافة ، وكتب عن الاسلام بمناهج جديدة، واكتشف المحاولات الأجنبية القديمة والحديثة والمعاصرة الرامية الى هدم تراثنا . . قلنا ان (الخفاجى) ، بهذا الثقل ، روى لنا فى أكثر من مناسبة عن الكثير من ذكرياته بأمانة وصدق.

---

(١) من أهم الدراسات الصادرة عنه :
- الخفاجى شاعراً : (رسالة ماجستير) : محمد أحمد ابراهيم العربى - كلية اللغة - القاهرة .
- الخفاجى ناقداً : (رسالة ماجستير) : واصل حسن عبد الرحمن - كلية اللغة بايتاى البارود .
- الخفاجى وأثره فى البلاغة العربية (رسالة ماجستير) : عبد الناصر قناوى - كلية اللغة بأسيوط

(٢) من مواكب الأيام : خفاجى - ط القاهرة ١٩٩٥ - ص٨ .

قص علينا فى مجلة (الهلال) [1] شوقه الشديد وهو طالب فى (الزقازيق) الى قريته (تلبانة) .. يقول عن حياته هناك : انه يشعر بالغربة، فأين قريته بأهلها وبيوتها ؟ .. انها غربة (فى الفكر) ، وغربة (فى المكان) ايضا !.. وكل هذا فى سبيل ارضاء رغبة أمه .. التى تريده من (رجال الأزهر) ، ويستخلف والدها ، ورغبة أمه بالنسبة له يجب تلبيتها ، ويشير الى تلك الأيام قائلا :

« ومن يومئذ .. من يوم أن عشت الغربة طفلا منذ بدء حياتى التعليمية الى أن تخرجت .. بل الى اليوم ، وأنا أحيا حياة طالب علم نهم، لا يرى الدنيا الا كتابا ويراعا وورقا .. » [2] .

و (الخفاجى) بدءا من هذا التاريخ ـ وكما قص علينا ـ بدأ بحثه الموصول فى مصادر الثقافة الاسلامية التى اهتمت ب (الأعـلام) وب (المناهج) وبالحفر فى ذكريات الماضى ، وبكل ما يتعلق بسير الأبطال والعظماء والأدباء فى كامل أجزاء الوطن العربى ، ومنها تونس .

٢ ـ والخفاجى عاشق تونس صفحاته مضيئة فى هذا الجانب :

ومن كنوز الثقافة الاسلامية والعربية التى قرأها الخفاجى وتأثر بها : مؤلفات الجاحظ ، والتوحيدى ، والجرجانى ، وابن خلدون ، وعبد الله بن أبى زيد القيروانى ، والإمام سحنون ، وكتب الطبقات ، وسواها ... من المصادر الهامة .

ومشواره فى البحث عن مصادر الثقافة الاسلامية التى اهتمت بالثقافة

---

(١) راجع مجلة (الهلال) عدد نوفمبر ١٩٩٥ .

(٢) من مواكب الأيام : خفاجى - ص ١٧٧ .

والأدب فى تونس بدأ مع تخرجه فى كلية اللغة العربية بالأزهر عام ١٩٤٠م، حيث تابع الخفاجى سير مشاهير الفاتحين لأفريقيا كعبد الله بن الزبير ، وعقبة بن نافع ، وموسى بن نصير ، والحسام بن ضرار ، وتابع هذا المثقف المولع بالمعرفة حركة انتشار اللغة العربية بأفريقيا .

وبرغم اهتمام الخفاجى بالامام الشافعى ، الا أنه عنى عناية كاملة بمريدى الامام مالك ، وبتلميذه الامام سحنون ، وأسد بن الفرات ، وعبد الله بن أبى زيد القيروانى ، وغيرهم . . .

ودفعه عشقه لأفريقيا الى التنويه ، فى كثير من مؤلفاته ، برجالها من علماء ، وفقهاء ، ونقاد ومبدعين .

ومن هؤلاء : الحسن بن رشيق ، وعبد الرحمن بن خلدون ، والامام ابن عرفة ، وابن منظور . كما دفعه حبه لعبد الرحمن بن خلدون الى زيارة الدار التى ولد فيها عند مجيئه الى تونس لأول مرة سنة ١٩٨٤ ، وصحبه فى هذه الزيارة كاتب هذه الدراسة .

وكانت شخصية عبد الرحمن بن خلدون من الشخصيات التى يعتز بها الخفاجى كثيرا ، لما تمثله من طموح . ويرى فى هذه الشخصية نمطا فريدا لطموح المثقف الواعى ، ويكفيه فخرا أنه مؤلف (المقدمة) و (كتاب العبر)، ودفعه حماسه لهذه الشخصية الفذة الى التحدث عنها باسباب فى (الأزهر) و (رابطة الأدب الحديث بالقاهرة) . ويرى الخفاجى أن ابن خلدون لم ينصف الإنصاف الكامل . وهو يكتب فصول كتاب جديد له عن (ابن خلدون فى الأزهر)

٣ - واذا ما كان الجاحظ يذهب الى أن الأدب هو الأخذ من كل

شيء بطرف ، فان جان بول سارتر ينظر الى الأدب على أنه « كشف للإنسان والعالم » . وهاتان المقولتان أعارهما (خفاجي الأديب) كل اهتماماته ، حينما حفر فى الذاكرة الشعبية ، وحقق فى التراث ، وكتب فيما يهم الانسان ، ونشط فى الكتابة عن أدباء المشرق والمغرب العربى .

وقلم الخفاجي كان لا يتوقف أبدا عن البحث ، فقد ساهم به فى التعريف بدور الأدب ومدارسه واتجاهاته ، وساهم به فى الحاضر وفى الماضى، وجنده فى التعريف بأعلام الأدب والفكر هنا وهناك . وأخذ ينحت بقلمه مستقبل الانسان أيضا . . ولا غزو فى ذلك فقد روضه على المطالبة بحرية التعبير ، وعلى ابراز التعقيدات والتناقضات ، وعلى سبر أغوار النفس وعلى استشراف المستقبل . . ومن كل هذه السياقات الفكرية اختار الخفاجى (ابن المعتز) ليقدم شخصيته فى رؤية جديدة ، وقدم أيضا أبا شادى والشابى وخليل مردم ومصطفى السحرتى والبشير بن سلامة ورشيد الذوادى وغيرهم.

فالخفاجى لم يكن فى حاجة لكى يسأل من هم الكتاب التونسيون الذين يستحقون أن يكتب عنهم ،لأن هذا الكاتب لا ينطلق فكره من أيديولوجية معينة لكى يكتب ، وانما تسير طموحاته دائما وفق اخلاص الكاتب لرسالته وفكره . . فهذه هى الطريق الصائبة لفرض الذات كما يرى دائما . .

وكان حريصا على الاطلاع على التراث ومن بينه تراث التونسيين والمغاربة وأهل الأندلس . وسعى لتكون تونس وطنه الثانى ، لذلك حرص على أن تكون همومها هى همومه ، لذلك لا تعجب لوقفته الشجاعة عامى

٥٢ و ١٩٥٣م حينما قاد المظاهرات الطلابية فى القاهرة ، وسجل بذلك وقفه الأزهر مع نضالات التونسيين .

والخفاجى ـ كما روى لنا ـ كان ملما بتيارات الفكر فى (أفريقيا) ، وعارفا بنشاطات مشائخ جامع الزيتونية ، ومطلعا على أهم مصادر وأخبار تاريخ (أفريقيا وتونس) : (المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس) [١] لابن أبى دينار المتوفى عام ١٦٩١م ، و(الحلل السندسية فى الأخبار التونسية) للوزير السراج : (ت ١٧٣٦م) [٢] ، و (الجواهر السنية فى شعراء الديار التونسية) لبيرم الرابع : (ت ١٨٦٤م) ومؤلفات كل من محمد الطاهر بن عاشور ، وحسن حسنى عبد الوهاب .

وهكذا نرى أن اشكاليات التعرف على الأدب والفكر التونسى القديم والمعاصر لم تشكل حاجزا فيما رواه لنا لكى يزداد اقتناعا بالكتابة عن أعلام الفكر والأدب فى تونس ، ويزيل عنا (عقدة الشرق) . وهذه (العقدة) كما هو معروف لم تكن جديدة ، فهى قديمة قدم التاريخ الفكرى . يقول جلول عزونة فى دراسته : (الأدب التونسى : واقعه وآفاقه) المنشورة فى مجلة (المسار) [٣] : « وهذا الواقع ليس حديثا ، فقد تعرض اليه القدامى من أفارقة ومن أندلسيين . . يقول ابن بسام فى هذا (ت ٥٤٢هـ) :

« وأخذت نفسى بجمع ما وجدت من حسنات دهرى ، وتتبع محاسن أهل بلدى وعصرى ، غيرة لهذا الأفق الغريب أن تعود بدوره أهلة ، وتصبح بحاره ثمارا مضمحلة ، مع كثرة أدبائه ، ووفور علمائه ، وقديما ضيعوا

(١) طبع هذا الكتاب لأول مرة عام ١٨٦٤ وكانت طبعته الثالثة عام ١٩٦٧ .
(٢) طبع بتونس سنة ١٩٧٣م .
(٣) (المسار) عدد ١٣و١٤ (نوفمبر ١٩٩٢)

العلم وأهله .. ويا رب محسن مات احسانه قبله ، وليت شعرى من قصر العلم على بعض الزمان ، وخص أهل المشرق بالاحسان » (١) .

وهكذا كان اهتمام خفاجى بمآثر التونسيين وبأعلامهم فى القديم والحديث .

ففى القديم ، تناول الخفاجى فى كتاباته عدة شخصيات من أفريقيا ، منهم : الحسن بن رشيق ، وأحمد الصواف ، والامام ابن عرفة ، وأحمد التيفاشى ، وعبد الرحمن بن خلدون ، وابن منظور ، وغيرهم .

وفى العصر الحديث ، يتعرض الدكتور الخفاجى الى قصته مع الأدب التونسى الحديث منذ بداية هذا القرن فيقول : « .. واذا عدت للذكريات ، فاننى تعرفت على الأدب التونسى وأنا فى الأزهر فى الثلاثينيات»(٢) .

٤ ـ وللخفاجى مع الشابى تاريخ طويل منذ الثلاثنيات :

فصلة الخفاجى بشعر الشابى قديمة حديثة من يوم أن بدأ هذا الكاتب يتلمس أصداء الشابى هنا وهناك . . ويدأ أبو القاسم يرسل ببواكير قصائده الى أحمد زكى أبى شادى لينشرها بمجلة (أبوللو) . . وهنا كانت (المحطة الثانية) التى جمعته بالشابى . . ويروى الخفاجى بعض أسرار هذه المرحلة فيقول فى حوار له مع صحيفة (العمل) التونسية (٣) :

---

(١) الذخيرة : ابن بسام ج١ ص١٢ .

(٢) د. زهران محمد جبر : صفحات من الفكر المعاصر ـ ص٣٠٤ .

(٣) صحيفة (العمل) بتاريخ ٢١ مارس ١٩٨٤ : حوار أجراه الصحفى الكبير الشاذلى باشا .

« .. وكنت أول من أسهم فى التعريف بالشاعر أبى القاسم الشابى فى مصر ، الذى كان يرسل قصائده الى زكى أبى شادى لينشرها بمجلة (أبوللو) ، وبما أن خطه (المغربى) كان يصعب قراءته فانى طلبت من أحد اصدقائى من المغرب ليقوم باعادة كتابة قصائد الشابى وتسليمها للمجلة وكانت أولى هذه القصائد :

« صلوات فى هيكل الحب » ، و « تونس الجميلة » .

وقد ألفت مع الأستاذين الدكتور عبد العزيز شرف ، والأديب التونسى رشيد الذوادى كتابا عن (الشابى ومدرسة أبوللو) وذلك بمناسبة الإحتفال بالذكرى الخمسين لوفاة الشابى .. » ولاننسى أن الخفاجى كان وثيق الصلة بالاستاذ كرو وهو الذى شجعه على نشر ديوان الشابى .

ولم يكن اهتمامه بالشابى مقصورا على هذا الكتاب أو بكتابة بعض الدراسات عنه ، اذ سبق له أن شارك بالقاهرة المعزية ـ وفى أيام الثورة التونسية ـ فى احياء ذكرى الشابى عام ١٩٥٤ ، ومن الأدباء الذين تحدثوا فى هذه الذكرى ، نذكر : الشاعر عزيز أباظة ، والمصلح الأديب البشير الابراهيمى .

كما أشرف على مهرجان أدبى كبير بمناسبة (خمسينية الشابى بالقاهرة) ، حيث نظمت (رابطة الأدب الحديث) بالقاهرة أسبوعا من الندوات عن الشابى ، بداية من ٣/ ١٠/ ١٩٨٤ ، وذلك بقاعة د. طه حسين بدار (نقابة الصحفيين بالقاهرة) . وحضر المهرجان : د. السعدى فرهود رئيس جامعة الأزهر .. ووزع من ماله الخاص جوائز على الأدباء قدرت ب ٢٥٠٠ جنيه مصرى .

وتحدث فى هذا الحفل : الخفاجى ، وعبد العزيز شرف ، ووديع فلسطين . . وقدم رشيد الذوادى بحثا عن : (الشابى وجيل الثلاثيات) ، كما شارك فيه جلال العشرى ، وحسنى سيد لبيب . وغيرهم .

كما ألقيت قصائد عديدة فى هذا المهرجان للشعراء : محمد عامر بحيرى، وفاروق جويدة ، ومختار الوكيل ، ولميعة عباس عمارة ، وفتحى سعيد ، ومحمد التهامى ، وعلى هاشم رشيد ، والدكتور عزت شندى ، ومصطفى عبد الرحمن وصالح جودت وسواهم (١).

وأكبر جهد الخفاجى فى هذه الذكرى كل من الأديبين الكبيرين : الأستاذ البشير بن سلامة وزير االشئون الثقافية فى تونس ، آنذاك ود. عبد الحميد الشابى شقيق الشاعر أبى القاسم الشابى (٢) .

وكتب الخفاجى عن الشيخ محمد الخضر حسين ، وأشرف أيضا على رسالة دكتوراه عنه .

كما كتب مقدمة كتاب أبى القاسم كرو (حصاد القلم) فى الخمسينيات . وجهود الخفاجى فى التعريف بالأدب التونسى الحديث لا يمكن نسيانها أو تجاهلها ، وللخفاجى فضل كبير على الأدباء التونسيين ، بدءا بالشابى ، والمسعدى ، والمطوى ، والبشير بن سلامة ، والخضر حسين وغيرهم . وقال صاحب هذه السطور مدافعا عن الأديب الجليل ضد كاتب

---

١) انظر صحيفة (عكاظ) السعودية بتاريخ ٢٣/ ١٠/ ١٩٨٤ ، و (العمل) التونسية بتاريخ ٢٧/ ١/ ١٩٨٤ ، وكتاب (صحائف الذكرى) : خفاجى ـ ط القاهرة ١٩٨٧ ـ ص٢١٠/٢١٢ .

٢) راجع (من مواكب الأيام) ـ خفاجى ـ ص ١١٦ و١١٧ .

يجهل أيادى هذا الرجل الفاضل : « ان هذا الرجل عرف بالشابى فى مصر، وأكرم وفادة محمد الخضر حسين ، وأن الأساتذة : رابح لطفى جمعة ، ووديع فلسطين، ود. عبد العزيز شرف ، وحسنى لبيب ، كتبوا العديد من الدراسات عن الأدب التونسى وعن رموزه فى عديد من الدوريات المصرية والتونسية والعربية . وأن والد الأديب رابح لطفى جمعة فتح منزله فى مصر للزعيم عبد العزيز الثعالبى فى وقت ندر فيه الوفاء .

كما كتب الخفاجى مقدمة لكتاب صاحب هذه السطور : (أدباء تونسيون) الصادر عن الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة عام ١٩٩٤ .

وفى موسوعته الأدبية الشهيرة التى درست فى جامعة الأزهر ، وفى الجزء الرابع من هذا الكتاب القيم دراسات عن :

البشير بن سلامة : وقال عنه انه صرف جزءا من وقته فى ترجمة بعض الكتب عن اللغة الفرنسية ، ويرجع الفضل له فى اقامة حوار فكرى مستمر مع أدباء جيله ، وفتح عدة ملفات أدبية [١] ، كما نشر مقالات عنه فى (الفكر) التونسية ، كما كتب عن كتابيه : (اللغة العربية ومشاكل الكتابة) ، و (نظرية التطعيم الايقاعى) [٢] .

محمد العروسى المطوى :الذى تعرف عليه فى القاهرة ،وقال عن شعره انه يمثل المسيرة الوطنية ، وعبر به عن مأساة الانسان ونضالاته،كما أشار الى رواياته :(حلمية)، و(التوت المر)،و(من الضحايا) . . . . الخ [٣]

(١) راجع (الأدب العربى) : د. خفاجى - ج٤ -ص٢٥٦/٢٥٨ .

(٢) راجع ما كتبه الأديب حسنى لبيب عن هذا الكتاب فى (الفكر) التونسية عدد يوليو ١٩٨٥ .

(٣) خفاجى : الأدب العربى - ج٤ - ص ٢٥٩ .

رشيد الذوادى : وأشار الى مؤلفاته ، وقال عنه : ان هاجسه الأكبر هو (الكلمة المسئولة) ، ورؤيته لمسئولية الكاتب واضحة عندما حددها فى كتابه (اشارات أدبية) ، وأشار الى أسلوبه ووصفه بأنه شائق وطريف .

نور الدين صمود : وأشار الى أمسياته فى مؤتمرات أدباء العرب ، والى دواوينه ، وكتبه الأخرى ، وقال ان من أهم مؤلفات هذا الشاعر : (زخارف عربية) [1] .

محمد الطاهر بن عاشور : وهو الكاتب اللغوى والدينى الكبير ، وانه تعرف عليه عام ١٩٣٥ عندما زار القاهرة ، حيث اجتمع به فى رحاب الأزهر، رجمعية الشبان المسلمين ، وجمعية الهداية الاسلامية ، وأشار فى كتابه الى أن: « الامام الطاهر كان اماما فى الدين ، ومفكرا اسلاميا كبيرا ، يتتبع آثار جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ، كما كان أديبا كبيرا ترك وراءه آثارا خالدة فى الأدب والنقد تعد من أروع ما تركه لنا رواد هذا الجيل » [2] .كما تحدث فى هذا الكتاب عن : محمود المسعدى ، والحبيب الجنحانى ، وأبى زيان السعدى ، وعز الدين المدنى ، ورشاد الحمزاوى .... الخ .

وفى النهاية ، نستطيع أن نقول عن الخفاجى مفخرة بحق فى العالم العربى ، فقد أفاد وأجاد ، ورعى نتاجات الأدباء العرب فى الكثير من الأقطار، ومتن الصلات الودية بين الأدباء . وفضله على التونسيين كبير ، حيث جند طاقته للدفاع عن أدباء تونس ، وساعد على نشر ابداعاتهم ،

---

(١) ارجع الى كتاب خفاجى (الأدب العربى) ج٤ - ص ٢٦٥ - ٢٦٧ .

(٢) انظر الفصل كاملاً فى المصدر السابق - ص ٢٦٨ - ٢٧٩ .

وعرف بالعديد من الأسماء فى برنامج (مع النقاد) الذى يعده الأستاذ عادل النادى فى الاذاعة المصرية ، كما ألح على أدباء كبار من مصر ، لكى يرعوا الأدب التونسى ويعرفوا به .. وبأعلامه البارزين .

من صحيفة حياة الخفاجى

ولد فى العقد الثانى من القرن العشرين .

أديب كبير وشاعر مبدع ومؤلف غزير الإنتاج أصدر ما يزيد على خمسمائة كتاب ،وله أكثر من عشرين ألف مقالة فى الصحف والمجلات فى مختلف الموضوعات وأشرف على نحو مئة رسالة دكتوراه فى الأدب والنقد واللغة فى جامعة الأزهر ، والجامعات والمعاهد المختلفة ونحو مئة وعشرين رسالة ماجستير .

وهو ينتمى إلى مدرسة الأصالة فى الأدب والشعر والنقد ، وله فى مجال الأعلام كتب منها (الاعلام الإسلامى) بالإشتراك مع الدكتور عبد العزيز شرف ، و (السيرة النبوية والاعلام الإسلامى) و (نحو بلاغة جديدة).

ـ وصفه أحد أدباء العصر بأنه جاحظ القرن العشرين ، وقال عنه رائد أبولو الدكتور أحمد زكى أبو شادى : إنه ظاهرة فذة فى تاريخ الثقافة العربية، وسماه بعضهم سيوطى عصره لكثرة مؤلفاته ،ووصف نفسه فقال : أنا عربى الأرومة والثقافة .

ـ عمل فى مجمع اللغة العربية ما يقرب من عشرين عاماً فى مجال البحث والتحقيق .

ـ كرمته الدولة المصرية فمنحته وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٨٣م .

يرأس حالياً رابطة الأدب العربى الحديث .

وعاصر الخفاجي تسعة عشر شيخا للأزهر كما عاصر عشرين وزارة قبل الثورة وعشرين بعدها .

وعاصر صفوة من العلماء الكبار في داخل الأزهر وخارجه ومن زملائه عدد كبير من المفكرين والأدباء والسياسين وعاصر من الكتاب والأدباء : المنفلوطي ـ طه حسين ـ البشرى ـ الرافعى ـ الزيات ـ أحمد لطفى السيد ـ محمد حسين هيكل ـ العقاد ـ أحمد أمين ـ على مصطفى مشرفة ـ حسن البنا ـ سيد قطب ـ محمد فريد أبو حديد ـ توفيق الحكيم ـ نجيب محفوظ وغيرهم.

ومن الشعراء : شوقى ـ حافظ ـ مطران ـ العقاد ـ المازنى ـ شكرى ـ أبو شادى ـ على محمود طه ـ ناجى ـ الهمشرى ـ محمود غنيم ـ محمود أبو الوفا ـ صالح جودت ـ محمود حسن اسماعيل ـ مختار الوكيل ـ الشابى ـ العواد ـ حمزة شحاته ـ إبراهيم فلالى ـ حسن القرشى ـ كما شهد المعركة حول الشعر الجديد (الحر) ، ومن النقاد : طه حسين ـ العقاد ـ مندور ـ السحرتى ، وغيرهم .

وشهد ميلاد مدرسة الديوان ، ومدرسة أبولو ـ وجماعة الأدب القومى عام ١٩٣٠ ، كما شهد مولد رابطة الأدب الحديث ـ وجماعة أبو لو الجديدة، ومولد المذاهب الواقعى ، وغير ذلك .

ـ وشهد معركة العقاد مع شوقى

ـ وشهد الحوار حول ثقافتنا : أعربية ام غربية ، ومعركة توحيد منابع التعليم الجامعى التى دعا اليها د. طه حسين ومعارك سلامة قوة ولويس عوض وغيرهم.

ويقول الخفاجى عن نفسه (ص٢٣٥ ـ صفحات من الفكر المعاصر):

عشت فى الزقازيق طالبا تسع سنوات .

أربع سنوات فى التعليم الابتدائى .

وثلاث سنوات للحصول على شهادة الكفاءة .

وسنتين للحصول على الثانوية .

وخلالها عكفت على الدراسة والتعليم ، وكنت لدى الشيوخ معروفا بالنبوغ و ق ، ومن الشيوخ الذين عاصرناهم فى الزقازيق : الشيخ محمود ابو العيون والشيخ عبد الحليم قادوم والشيخ عبد الحكم وثلاثتهم كانوا شيوخ المعهد ، والشيخ سيد الباز والد فاروق الباز وكان مدرس الحساب والشيخ منصور رجب وكان أستاذ الإنشاء والشيخ محمد الطنطاوى وكان مدرسا للبلاغة والنحو ، والشيخ أحمد شفيع الشاعر وعبد العزيز جاد الحق مدرس التاريخ وكثيرون غيرهم .

وكان من زملائنا وإخواننا : محمد متولى الشعراوى وحسن جاد وأحمد عبد المجيد الغزالى ، والشيخ جاد الحق على جاد الحق ، ومحمد السعدى فرهود ، وأحمد الشرباصى ، وسيد نوفل (نائب أمين عام الجامعة العربية فيما بعد) .

وكثيرون غيرهم .

وكان ممن عرفناهم فى الزقازيق : عبد العزيز السعدنى الشاعر (البقال) ، وأحمد مخمير الشاعر ، ومحمد العلائى الشاعر ، وسواهم .

وفى الزقازيق كنت عضوا فى لجنة اتحاد الطلبة وهى لجنة وطنية قامت بأعمال كبيرة فى ثورة الشباب عام ١٩٣٥ ، وفى مجالات أخرى .

وفى الزقازيق كنت صديق إبراهيم بيومى المحامى رئيس لجنة الوفد العامة بالشرقية ، وصديقا لكثير من الشخصيات .. وكنا كطلبة نؤيد الوفد فى نضاله الوطنى ضد السراى والانجليز .. وكانت لى جولات فى الخطابة والشعر ، وصدر لى عام ١٩٣٦ ديوان ، وحى العاطفة ، الذى قدمه توفيق دياب صاحب جريدة الجهاد ، ونشرت بعض البحوث فى جريدة الجهاد وفى مجلة السياسة الاسبوعية .

وفى القاهرة كان من شيوخى فى كلية اللغة : الشيخ إبراهيم حمروش والشيخ محمد عرفه ، والشيخ نور الدين الحسن السودانى (وكيل الأزهر فيما بعد) ، والشيخ محمد الطنيخى (مدير الوعظ فيما بعد) والاستاذ يوسف نجاتى ، والاستاذ محمود مصطفى ، والاستاذ حامد مصطفى ، والشيخ محمد الطنطاوى وسواهم .

وكان زميلى فى الدراسة وصديقى المرحوم الدكتور محمود فرج العقدة رحمه الله .

وفى القاهرة تعرفت وأنا طالب بكثير من الزعماء والادباء والشعراء :

عبد الحميد بدوى القاضى بمحكمة العدل الدولية فيما بعد ، مصطفى النحاس ، ابراهيم عبد الهادى ، ابراهيم دسوقى أباظة ، محمد حسين هيكل باشا ، أحمد لطفى السيد ، على ماهر ، عزيز المصرى ، وصالح حرب ، الحاج أمين الحسينى .

ومصطفى عبد الرازق ، وأحمد حسن الزيات والعقلد وطه حسين وعزيز

اباظة ويوسف السباعى ومصطفى السحرتى وابراهيم ناجى وعلى محمود طه ومحمد عبد الغنى حسن وزكى مبارك ومصطفى صادق الرافعى، ومحمد مصطفى حمام ومحمود ابو الوفا ، وبيرم التونسى ، وكامل الشناوى، وعلى الغاياتى صاحب منبر الشرق وخليل مطران ، وصالح جودت ، ووديع فلسطين ، وسواهم .

وعملت فى صحف : السياسة ، والدستور ، والأساس والأهرام ، واتصلت بمجلة أبولو ، والرسالة ومجلة الأزهر وكثير من المجلات الأدبية التى صرت أنشر فيها .

وكنت عضوا فى جمعية الهداية الاسلامية التى كان يرأسها الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر فيما بعد ، وفى جمعية الإخوان المسلمين فيما بين عام ١٩٣٦ ـ ١٩٤٠ ، وفى جمعية العشيرة المحمدية التى يرأسها الشيخ محمد زكى إبراهيم ، وفى رابطة الأدب الحديث التى قمت بجل نشاطها منذ عام ١٩٥٣ ، وتوليت رياستها من عام ١٩٨٣ ، وعرفت مجلة التصوف ورئيس تحريرها طه عبد الباقى سرور رحمه الله . وكتبت شعرا ودراسات أدبية فى مختلف الصحف والمجلات ، وعشت فى الجو الأدبى فى القاهرة فى أزهى فترات عصور الأدب فيها .

وبعد تخرجى من الدراسات العليا عملت مع لجان كتابة تفسير القرآن الكريم فى وزارة الأوقاف مع الشيخ أبو زهرة والشيخ عبد الحليم محمود والشيخ عبد الجليل عيسى ومحمد السبكى .

كما عملت فيما بعد فى لجان تفسير القرآن الكريم فى مجمع البحوث الإسلامية مع العديد من الزملاء والإخوة العلماء .

ومن أجل ما كتبته الكشف عن جامعة الفسطاط الإسلامية ودورها العلمي في مصر حتى القرن الثامن الهجري الذي انطفأت في نهاياته أضواؤها التي أضاءت العالم الإسلامي قرونا عديدة .

وكنت أنا والدكتور عبد العزيز شرف نفكر في إنشاء جامعة إسلامية أهلية باسم جامعة الفسطاط الاسلامية ، لولا عقبات المال والتمويل .

ومنذ ١٩٥٠ وأنا أفقد أصدقائي واحد بعد واحد . وأفقد الجو الأدبي الرفيع الذي كنا نعيش فيه النصف الأول من القرن العشرين . وكان خاتمة المطاف فقدي لشريكة حياتي رحمها الله في الخامس من أغسطس ١٩٨٧ .

ـ التاسع من ذي الحجة ١٤٠٧هـ .

واليوم وأنا على عتبات العام الرابع والثمانين الميلادي أو السادس والثمانين الهجري من حياتي ، أسأل الله أن يهبني القوة والصحة والتوفيق في مقبل أيامي وأعوامي الباقيات .

وفي عصرنا طار أول قمر صناعي على مدار القمر الجوي ـ سبوتنيك ١ في ٤/ ١٠/ ١٩٥٧ . . وسار أول إنسان في الفضاء (جاجارين الروسي) في ١٢/ ٤/ ١٩٦١ . . ووضع أول إنسان قدمه على سطح القمر في رحلة كان فيها اثنا عشر رجلا في ٢٠/ ٧/ ١٩٦٩ .

ويقول الخفاجي في كتاب صفحات من الذكرى : كتاب لي يؤرخ لجانب من جونب السيرة الذاتية للمؤلف ، وقد سبقه كتب وفصول عديدة تناولت جوانب أخرى للسيرة الذاتية لي منها :

١ ـ فصول في كتاب بنو خفاجة وتاريخهم السياسي والأدبي .

٢ ـ فصل فى كتاب الأزهر فى ألف عام للمؤلف .

٣ ـ فصل فى الأدب العربى الحديث للمؤلف .

٤ ـ قصص من الحياة للمؤلف .

٥ ـ مواكب الحياة ـ ٣ أجزاء للمؤلف

٦ ـ من مواكب الأيام .

ومنها ما كتبه بعض الأعلام عن المؤلف .. من مثل :

١ ـ كتاب « رائد فى الأدب المعاصر » للأستاذ حليم مترى .

٢ ـ صورة من الفكر المعاصر للأستاذ محمد فكرى عثمان أبو النصر .

٣ ـ من كفاحنا الفسكرى للأستاذ محمد رضوان أحمد.

٤ ـ فصول من الفكر المعاصر تأليف ماجد خفاجى .

٥ ـ فصل فى كتاب « مع هؤلاء » للأديب الشاعر الأستاذ محمد عبد العال .

٦ ـ فصل فى كتاب أحاديث فى الأدب للأديب التونسى الكبير الأستاذ رشيد الذاودى .

رسائل جامعية كتبت عنى

إلى رسائل عنى فى بعض الكليات ، وكتابى قصص من الحياة وكتابى مواكب الحياة بأجزانه الثلاثة ، حلقة متصلة فى موضوع واحد يتصل بالسيرة الذاتية لى . . . ومن أجل ذلك . . ولتتضح الصورة ، ويكمل الحديث ، وتتم المشاهد . كان كتاب « صحائف من الذكرى » .

الخفاجي.. الأديب

الخفاجى الأديب

١ ـ حينما بدأت بشائر النهضة الحديثة فى مطلع هذا القرن أخذت الفنون الأدبية بنصيبها الأوفر من هذا النهوض ، ذلك أن الحاجة كانت تدعو المفكرين والأدباء الى الأخذ بأسباب التحديد والتقدم . وترصّد المثقفون عملية البحث الجديد للنثر والشعر ولفن المقالة والنقد ، وكانت البدايات على يد الإمام محمد عبده وعبد الله فكرى ، وفارس الشدياق ، وأديب اسحق ، وحفنى ناصف ، والمنفلوطى وعباس محمود العقاد وطه حسين ، وعدة وجوه أدبية أخرى أغلبها فى المشرق العربى .

وحينما نقول : ان للعرب تراثا زاخرا فى الفنون الأدبية ، تتعدد أمامنا الأسماء والأجيال ، فهذا العصر الأموى ، وذلك العصر العباسى ، وهذا ابن المعتز والحريرى والمتنبى وتلك مدارس الأدب بعد الحركة العرابية فى مصر والتى بشر بها الامام محمد عبده فى أواخر القرن التاسع عشر ... وهذه حركة محمود قابادو ، و (جماعة تحت السور) فى تونس . وهذه مدارس أدبية مختلفة تخرج بعضها فى (الأزهر) كالمنفلوطى والبرقوقى وزكى مبارك، وبعضها فى (دار العلوم) كعلى الجارم ، أو (بيئة القضاء) كأحمد أمين والشيخ أبو زهرة ، أو فى (الجامعة) كالحكيم ومندور ، والسحرتى ، و (الصحافة) كالعقاد ، وبيرم التونسى والهادى العبيدى وسواهم ...

وهكذا فالعرب لهم تراث عظيم وزاخر فى كل الفنون القولية والأدبية تترجم عنه قصائد للمتنبى والبحترى والشابى ونزار قبانى وخفاجى وعبد العزيز شرف وغيرهم . كما تترجم عنه الصور الأدبية الشائقة الأدبية من أديب الى آخر ومن أثر فكرى الى غيره .

وقد يتميز أدباء بلد عن أدباء بلد ، فيظهر هنا قصاصون ، وهناك شعراء فحول أو نقاد . . . وتتعدد تجارب التجديد وتجارب احياء التراث الأدبى فتقرأ أساليب وألوانا مختلفة ، فهذا المنفلوطى صاحب الأسلوب الوجدانى الرومانسى فى (نظراته) و (عبراته) ، وطه حسين صاحب الأسلوب المتميز، والرافعى فى رمزيته الأسلوبية المعروفة . . وهؤلاء بقايا جيل العقاد والحكيم وهيكل . . . الخ

هذا هو تراثنا العربى وفكرنا المعطاء . . هو ممتد الجذور ويزخر بالأسماء والتجارب والأطواق ، وبه تميزت (العبقرية العربية) فى أزهى عصورها وأنبل غايتها .

٢ - ولئن كان (الأزهر) دائما منارة للعلم وكعبة للقصاد وفيه تعددت التيارات السياسية والفكرية ، فان فضله أيضاً كان كبيراً فى تخريج الباحثين ، الأصلاء والموهوبين والقادرين على النهوض بأعباء الحركة العلمية والأدبية ، وفى مختلف جوانبها وألوانها ، فقد تخرج فيه : محمد عبده والمنفلوطى والبشرى ومصطفى عبد الرازق وزكى مبارك والزيات والشاعر الأسمر وخفاجى وسواهم .

وهكذا كان لهذه (الجامعة) الفضل فى بناء الحضارة والتقدم الإنسانى كفاحا ونضالا .

ونحن حينما نتحدث عن رجالات الأزهر يستوقفنا تاريخ طويل وحافل، وتستوقفنا أيام مشرقة فى تاريخ أمتنا العربية ، فماذا نقول عنهم ؟ وماذا نقول بالذات عن أحد خريجى هذه الجامعة وهو الخفاجى شخصية عربية أصيلة ووجه من وجوه الفكر الشامل فى مصر اليوم ، وانتماؤه لأسرة عربية

عريقة فى القدم ، هى (بنو خفاجة) جعله يكتب تاريخ هذه الأسرة العربية فى كتاب بعنوان (بنو خفاجة وتاريخهم السياسى والأدبى) . وله كتاب آخر يحمل عنوان (الخفاجيون فى التاريخ) وكتاب ثالث بعنوان : «الدولة الخفاجية فى التاريخ » .

كما أن انتماءه الى (جامعة الأزهر) جعله يكتب (الأزهر فى ألف عام)، وانتماءه لوطنه مصر حبب اليه أن يكتب كتاب (التراث الروحى للتصوف الاسلامى فى مصر) ، وكتاب (مواكب الحرية فى مصر الاسلامية) وقصة الأدب فى مصر (فى خمسة أجزاء) وسواها .

والخفاجى العالم والأديب يعتز بصداقاته الأدبية الواسعة وبمواقفه من قضايا الحرية والعروبة وبلغت مؤلفاته أكثر من خمسة مائة كتاب) ومع ذلك فالرجل لا يشعرك بأنه مؤلف ، فهو متواضع تواضع كل عالم أصيل وباحث قدير » (١) .

هو خريج (الأزهر) ومن زملائه الامام الشعراوى ، . . وهو باحث وناقد ، وشاعر ، وموسوعة لغوية ودينية يعتز به علماء الاسلام فى كل صقع، من الهند وباكستان ، الى تركيا والوطن العربى ، لأنه أثرى النقد بالجمع بين المناهج القديمة والجديدة فيه ، ودراساته الأدبية تمثل منهجا فكريا متكاملا ويسجل بموازناته الأدبية كثيرا من الأفكار الجديدة ، فهو صورة للأديب الذى مثل عصره وصور بفنه جوانب كثيرة من التجديد والابتكار . يقول عنه المستشرق المجرى المسلم الدكتور عبد الكريم جرمانوس : « عرفته فعرفت فيه الكفاح من أجل العمل الفكرى ، يربط كفاحه بلقمة العيش بكفاحه

(١) رشيد الذادى : أحاديث فى الأدب ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٦ ـ ص٤٣ .

بعمل الفكر .

٣ ـ والخفاجي الذى يمثل الثقافة الاسلامية فى عصرنا الحاضر ، حيث أنه يعد من أعظم من خدموها فى العصر الحديث بأعمالهم لا بأقوالهم ، وبالحقائق الكثيرة التى صنعها لا ببريق الدعاية الجوفاء . هو رجل الوفاء بحق، الذى قص علينا قصصا من الوفاء فى كتابه (قصص من الحياة) الذى انتهـج فيه نهـج طه حسين فى رائعته (الأيـام) ونهـج أحمد أمين فى كتابـه(حياتى) .

وقد قص علينا خفاجى المفاجآت التى حدثت له فى طفولته ، وحكى لنا لحظات التأمل فى حياة كفاحه العلمى ، وصور أيضا ما شاهده فى سفرياته العديدة ولقاءاته بأعلام الأدب والفكر هناك .

هذا الرجل هو الرجل،هو وفى للأزهر،لذلك ألف عنه،ووفىّ للرسول الأعظم ، لذلك كتب سيرته،ووفىّ لقبيلته العربية (خفاجة) ، ولذلك رأيناه يؤلف عدة كتب منها الخفاجيون،وفىّ لأصدقائه فى (جماعة أبوللو) ، لذلك تحدث عنهم : كمصطفى السحرتى ،وأحمد زكى أبى شادى ومحمود أبى الوفا ومختار الوكيل والشابى وسواهم[١]. ولن تنفلت منا اللحظات حتى نشيد بوفاء هذا المكافح المثابر العاشق حق الوفاء للكتاب،فهو يؤلف ويشرف بنفسه على طباعة كتبه وينفق عليها من ماله الخاص .

وسر جاذبية كتابه (قصص من الحياة) أنه يضعك أمام (العالم المتفانى) الذى يتقبل قدره فى صبر عجيب ، لأنه مؤمن بغرس البذرة وملاحقة النماء ، ولعل كل هذا استفاده من حياة أهل الريف الطيبين .

---

(١) مجلة (الحضارة المصرية) ـ مارس ١٩٨٨ .

ولذلك قدم لنا عدة مشاهد فى بساطة وصدق عن حياة الريف المصرى وأيامه العطرة ، وكيف كانت أيامه فى هذا الريف .. هى ذكريات حلوة عطرة شذاها فى أريج الزهر فى (آذار) المعطر بالجمال .. كيف أصبحت حياته تلك ذكرى .. كانت تتألق فى نفسه مثلما تتألق صفحة نهر النيل ، ووجه البدر وأكمام الزهر .. وهو فى شعره وفى خواطره يحكى عن الريف فى أصالة فنية عميقة .. يقول بلهجة المتيم بهذا الريف : « حياتى كلها من أول يوم فيها حتى الآن تحمل طابع الريف . وأنا بكل ما أنا فيه مدين للريف، فقد علمنى الاعتماد على النفس وتحمل المسئولية والحرص على أداء الواجب . وعلمنى أن لقمة الحياة لا يمكن لمثلى من المحرومين انتزاعها من الأيام الا بالكفاح والمثابرة وبالجهاد الطويل » [1] .

ولكن عاشق الريف تعلم أيضا وبفضل فطرته النافذة عشق الأرض وتقديره لمن يحييها بجهده وعرقه ، بل ان الريف علمه أيضا تقديس الحياة، فقد ذكر فى كتابه (مواكب الحياة) قوله : « لقد صار العشب الأخضر عندى يحمل معنى الحياة ، كم صرت أبكى عندما تطؤه قدماى عن غير قصد منى»[2].

ووفاء الخفاجى ليس ظاهرة عابرة بل عميقة فى أبعادها الانسانية والاجتماعية ، وضاربة بجذورها فى ماضينا الروحى والحضارى .. وفاؤه تحدى به الفقر والصعاب ، تحدى به الاغتراب والدسائس .. استمده من روح قريته فى (المنصورة) ومن والديه ، وخاصة أمه التى أصرت على ذهابه الى الأزهر [3] .

(١) خفاجى : موكب الحياة ـ القاهرة ١٩٨٠ .
(٢) المصدر نفسه ـ ص٥٨٢ .
(٣) المصدر نفسه ـ ص ٥٨٣ .

ومن وفائه لأمه عدها أستاذه الأول : « آمى أستاذى الأول » أما أستاذه الثانى فهو الفقر ولكن الفقر فى رأيى تحداه رغم رغبات الشباب والحرمان . . أورث نفسيته العزة والصلابة وصفاء النفس ، فنفسيته ظلت صافية لا تحمل لغيره الا المحبة والخير .

٤ ـ والخفاجى الكاتب والمؤلف هو مفخرة بحق . . وهو امتداد رائع لفكر محمد عبده ، والمراغى ومصطفى عبد الرازق ومحمود شلتوت وسواهم من أعلام الأزهر الخالدين .

عايشته فعرفت فيه الصراحة والجد والوفاء ، والغيرة الوطنية والاسلامية وفكره الاسلامى المتألق نقرؤه فى مثل كتبه : (النظرية الاقتصادية فى الاسلام) ، و (الحضارة الاسلامية) ، و (الاسلام وحقوق الانسان) و (خلود الاسلام) ، فحينما تتابع فكره الاسلامى النير ، يستوقفك فكر رائد ومصلح من طراز الشيخ محمد متولى الشعراوى ، وابن باديس ، والطاهر بن عاشور ، وغيرهم من أئمة المسلمين فى العصر الحديث ، اذ أن كل كتابه حافل باشراق روحى وسمو انسانى .

والخفاجى الأزهرى والباحث الدينى الكبير نجده فى كتبه الاسلامية قد أخذ من كل شىء بطرف . .تراه متأثرا بمحمد عبده ، أخذ عنه روح التجديد . . وترى تأثره بالمراغى حينما تبنى حب (الأزهر وقضايا شبابه)، كما أخذ من ابراهيم حمروش الحس اللغوى ، وعن مصطفى عبد الرازق نصاعة الرأى الحر والتفكير العقلى .

بهذا كله كان (الخفاجى) شخصية جامعية وعالما موسوعيا جادا ، امتاز بالطموح العلمى والزهد فى مطالب الحياة . . والى جانب ذلك ، فهو

شاعر مجيد له ستة عشر ديوانا مطبوعا وعدة دواوين لم تطبع بعد ..أما دراساته النقدية ، فتمتاز بالعمق والتحليل المركز .. ترى هذا واضحا فى (أبو عثمان الجاحظ) و (ابن المعتز وتراثه فى الأدب والنقد والبيـــان)، و(الأدب العربى الحديث) ، و (البحوث الأدبية .. مناهجها ومصادرها) ومدارس النقد ، وأصول النقد الخ ...

ومن مميزات هذا الأديب الناقد أنه أسهم بجهد وافر فى الكشف عن الظواهر الأدبية وحدد ملامح الدراسات فيها ، كما أمكنه أيضا أن يقدم آراء ونظريات فى البحث عن الجذور العربية ، وله أولوية السبق فى هذا المجال، بل أن الناقد الدكتور عبد العزيز شرف يقول فى هذا الشأن : « أن د. خفاجى سبق (أليكس هيلى) فى البحث عن الجذور » .

وكما يعلم الجميع أن (أليكس هيلى) أثارت (جذوره) الجدل الطويل وكتبت عنها الصحف فى الشرق واالغرب ، ويؤكد هذا الرأى ما أثاره المستشرق المجرى الدكتور عبد الكريم جرمانوس من أن « الخفاجى عاش طول حياته فى محاولات مستمرة للكشف عن ذاته وللبحث فى اكتشاف نفسه»(١) :

٥ - ولو طرح سؤال حول أهمية البحث فى التراث لقلنا : ان البحث فى التراث ، هو بحث عن (الذات) ، وعن التاريخ ، وأمجاد الماضى ، وقداسة النص .. ففى التراث نرى ذواتنا ، وماضينا ، وقيمنا وأصالتنا .. وفى التراث فسحة لمعرفة جهاد أولى الفضل وأصحاب القيم ، وفيما يندرج فى باب الايمان ، وفيما لا يظل خارج دائرة العقل .

(١) انظر دراسة عن (الخفاجى) فى كتاب (مواكب الحياة) ، للدكتور عبد العزيز شرف. راجع (مواكب الحياة) جـ٣ ـ ص١٢٧٦/ ١٣١٤ ـ طبعة القاهرة .

وكما هو معلوم ، فالتراث العربى الاسلامى منهل لا ينضب ، اد فيه نرى أدوار حركة تشكيل البنية الثقافية والإجتماعية للمجتمع العربى الاسلامى .. وفيه نرى ألوان التأثير وضروب التفكير ، والتيارات المتعددة، والروافد المختلفة ، وأنماط أساليب الحكم ، وأحوال الناس ، وطوائفهم وبيئاتهم ، والنظرة الفلسفية لمشاكل الوجود ، والأحداث السياسية والدينية التى هزت الأمة .

وفى التراث نرى ألوان المعارف وأنواع الفنون ، وأساليب الجدل الدينى واللغوى ، وحيرة النخب الفكرية عبر العصور ، والأقوال الراجحة والآراء الفاسدة والأفعال المذمومة التى يشقى بها أهلها ، وأخبار دورات التاريخ والسنين ، والتأويلات والتفسيرات والرموز والحروف المحتملة .

وفى اعتقادنا أن عملية (احياء التراث) ليست ب : (عملية ردة) ، بل هى عملية كشف نتطلع بها الى (الحداثة) والى المستقبل . ومن أجل هذا عكف العديد من المفكرين العرب على تحقيق الكثير من أمهات الكتب، ووضع شروح وفهارس لها .

وكما هو متعارف ، فقد تعددت القراءات فى تراثنا العربى منذ نهاية القرن الماضى .. ورأينا فى هذه القراءات وجهات نظر متناقضة ، أفسحت طريقا لأوجه الاختلاف فى الصراع الدائر بين (الأيديولوجيات) ، وبين من كان ينادى ب (تجديد الماضى) حسب روح العصر . ومن هنا أتت مجمل (الدراسات المقارنة) للدكتور طه حسين ، والدكتور زكى مبارك ، والدكتور زكى نجيب محمود ، والدكتور محمد عبد المنعم خفاجى .

٦ ـ والخفاجى هو (عالم موسوعى) ، أشاد بفضله وعلمه العديد من

المفكرين والأدباء ، منهم : د. طه حسين ، وأحمد حسن الباقورى ، والمستشرق المجرى عبد الكريم جرمانوس ،وارنست بانرت ، والدكتور عبد العزيز شرف ، والكاتبان الكبيرلن : وديع فلسطين ود. محمد السعدى فرهود، والدكتور أحمد زكى أبو شادى [1] ، وأنور الجندى . . وسواهم. وهو أديب ، ومؤرخ ، وناقد ، وشاعر له ستة عشر ديوانا مطبوعا ، أقدمها ديوان : (وحى العاطفة) الصادر سنة ١٩٣٦ بالقاهرة . . ويمثل هذا العالم والمفكر الكبير (مدرسة علمية معاصرة فى الأزهر وجامعته) . . واختاره مختلف الجامعات العربية والإسلامية عضوا مناقشا فى رسائل (الماجستير) و (الدكتوراه) ، وحصل هذا المفكر على جوائز أدبية عالمية منها جائزة (انشتاين) للشعر ، ومنحت له هذه الجائزة من طرف (الرابطة الدولية من أجل السلام العالمى) وهى منظمة غير حكومية معتمدة لدى اليونيسكو والأمم المتحدة ، وتأسست عام ١٩٦٥ ، وحصل الخفاجى على هذه الجائزة بتاريخ ١٠ أكتوبر ١٩٨٩م .

وجهود الخفاجى فى مجال تحقيق التراث ونشره أبهرت الجميع . . ولعل من أشهر أعماله فى هذا الشأن :

شرحه لصحيح البخارى ، فى ١٠ مجلدات

شرح ابن عقيل (ثلاثة مجلدات)

رسائل ابن المعتز (جمع وشرح وتحقيق)

---

(١) ذكرت د . سلمى خضراء الجيوشى فى رسالتها للخفاجى بتاريخ ٣ مارس ١٩٧٦ م ، أنها وجدت فى أوراق المرحوم د . أحمد زكى أبى شادى عدة رسائل له كان قد وجهها الى أبى شادى فى أوقات مختلفة .

ديوان الامام الشافعى : (تحقيق)

الايضاح فى البلاغة : (٦ أجزاء)

نقد الشعر : لقدامة بن جعفر .

إعجاز القرآن للباقلانى

قواعد الشعر لثعلب

ديوان الامام على بن أبى طالب (تحقيق)

أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجانى : (جزآن)

دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى

أخبار النحويين : للسيرافى

فهذه بعض (النماذج) من الكتب التى اختارها وحققها ، وهى تدل دلالة عظيمة على أن هذا الكاتب كان مفتونا بتراث أمته ، لذلك حرص كل الحرص على نشر ذخائر أدباء وعلماء الأمة العربية وكان لسان حاله يقول : اذا أردتم العزة لأمتكم فانشروا ما كتبه الأولون ، وعرفوا الأجيال بهذا الزاد الثمين.

ويجيب خفاجى عن سؤال توجهت به اليه صحيفة (الجزيرة) السعودية فى عدد ١٣٣٩٢/٥/١٦هـ عن (التراث العربى) فيقول :

« انه مفخرة الانسانية جمعاء ، ومفخرة الحضارة العالمية ، ومن منا لا يعتز بأمثال الجاحظ والكندى وابن سينا ، وابن رشد ، وابن الهيثم ، وابن النفيس ، والرازى ، والمسعودى وسواهم .

يقول برنال :

لقد تميز العلم العربى بالدقة والعمق والتجديد ، مما جعله مفضلا على العلم الأغريقى ، ويقول أيضا :

ان العرب قربوا العلوم الى الأذهان بطريقة فذة ما كان الاغريق أنفسهم قادرين عليها .. ولقد ترجم ابن أبى أصيبعة لنحو أربعمائة طبيب ، كلهم كتب وألف بالعربية .

ويقول « بروتز » مؤرخ الحروب الصليبية : انه ليس فى وسع العقل الأوربى فى عصور حضارة الاسلام أن يقدم مثالا بفضل مؤلفات العرب[1].

(١) راجع : (مواكب الحياة) : للخفاجى ـ جـ٢ ـ ط القاهرة ـ ص ٦٠٠ .

الخفاجى.. الناقد

الخفاجى ناقدا

١ ـ كلما عدنا الى المصادر والمراجع فى اللغة ، تأكدنا أن هذه المصادر والمراجع تكتسى أهمية قصوى فى البحث ، فهى بمثابة (الأساس) الذى نستند عليه والذى يمدنا بكل مواد البحث الأولية وهى التى يتم بها تكوين البحوث وانماؤها .

وحسب ما تورده المصادر والمراجع ، فإن للغة العربية سمات خاصة، وفضلها كبير على الثقافة العالمية لكونها حافظت علينا ك (أمة وسط) وبها أثبتنا قدرتنا وأضفنا بواسطتها الكثير من النظريات والأفكار .

و(اللغة العربية) غزيرة فى مادتها ، وطيعة فى كونها ألمت بثقافة العصور ، وكان من نتائجها هذه النهضة الفكرية وهذا العقل الانسانى القدير.

هى راقية تصب فيها الجداول وتستطيع االافصاح عن خلجات النفوس ولواعج الصدور . . وفيها قال (بروكلمان) : « تمتاز لغة الشعر العربى بثروة واسعة فى الصور النحوية ، وتعد أرقى اللغات السامية تطورا من حيث تركيبات الجمل ودقة التعبير » .

واللغة العربية من حيث مفرداتها غنية غنى يسترعى الانتباه ، واستعملت (لفظ النقد) لمعان مختلفة وبالخصوص لتمييز الجديد من الردىء من الكلام شعرا كان أو نثرا .

وفى هذا الاطار تألق نقاد كبار ، بعضهم تناول المدارس النقدية وآخرون تحدثوا عن موازين النقد أو عن أعلامه وهناك من تناول عصور النقد ومناهجه وثمة من كشف صورا دقيقة لمدارس النقد الأدبى الحديث .

٢ ـ واعتبارا الى أن (العمل الفنى) هو ظاهرة معاشة وأن عظمة الأعمال الفنية تقاس بحكم الناقد الفنان وأن (النص الابداعى) النابع من أعماق النفس ، يعبر عن ذات المبدع .. قلت اعتبارا لكل هذا كان جهد الباحث الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى عملا يستحق الاشادة به من حيث الشمول والعرض والانفعال بالقضايا التى دلت على روح معبرة عن الذات ، كما يشير الى ذلك الناقد (لاسل آبر كرمبى) فى كتابه (قواعد النقد) .

فالخفاجى فى كتابه (مدارس النقد الأدبى الحديث) الصادر عن (الدار المصرية اللبنانية) بالقاهرة فى ٤١٨ صفحة ، يثير الى قضية وهى أن النص الأدبى صورة للعصر ولكاتبه وللمذهب الذى يمثله الأديب ، وهذا الكتاب يمثل الفكر النقدى للخفاجى ، بل يمثله فى طليعة نقادنا المعاصرين.

الخفاجى باحث نشيط متنوع الاهتمامات . تناول فى بحوثه جذور حضارتنا القديمة والحديثة وفى دراساته تناول تاريخ مصر والأمة العربية . وهو وفى للأزهر فكتب عنه كتابا فى ثلاثة أجزاء عنوانه : (الأزهر فى ألف عام) . ومن بحوثه : (قصة الأدب المعاصر) و(فى مواكب الحرية فى مصر الاسلامية) و (قصة الأدب المعاصر) .

وكتب عن العديد من الأدباء التونسيين منهم الشابى ومحمد العروسى المطوى والبشير بن سلامة والخضر حسين والطاهر بن عاشور ورشيد الذوادى ونور الدين صمود وأبو زيان السعدى وسواهم ، واشتهر بتحقيقاته الواسعة وكتبه التى درسها الطلبة فى (الزيتونة) و (القرويين) و (الأزهر) وبتعليقاته على (صحيح البخارى) وتفسيره للقرآن الذى سماه (تفسير القرآن الحكيم) فى ثلاثة عشر جزءا .

قال عنه الشاعر أحمد زكى أبو شادى : « انه ظاهرة فذة فى تاريخ الثقافة العربية » . وسماه كثيرون بسيوطى عصره وبجاحظ زمانه كما تحدثت عنه (الندوة العالمية الدولية للمفكرين) فى ص ٥٦٠ من (المجلد السادس). . التى أثارها النقاد المعاصرون سواء من العرب أو من غيرهم .

وتؤدى الأقسام الخمسة التى توزعت فيه رؤى د. خفاجى فى العديد من قضايا النقد ومشكلاته الى تناول أطراف ما فى هذه القضايا ، ف (النقد الأدبى) كما يراه المؤلف تراث عربى عظيم ، وأسلافنا القدامى تركوا فيه كنوزا غالية ومن تلك الكنوز : (نقد الشعر) لقدامة و (نقد النشر) لابن وهب و (الموازنة) للامدى و (الوساطة) للجرجانى .

خصص المؤلف الباب الأول الذى عنوانه (الشعر وتيارات النقد) لدراسة (القصيدة العربية وموازين النقد) و (عناصر الأثر الأدبى) و(القصيدة العربية وموازين الخليل) . ويثير د. خفاجى عدة قضايا هامة منها: أفكار القصيدة وأدوات الشاعر ومادة الشعر ، والتى يقول عنها أنها تتوفر فى عوطف الحب والحزن والتفاؤل والحرمان والخيبة، ويرى أن العواطف هى الينابيع الصادقة للشعر وهى راسبة فى أعماق حياتنا .

واذا كان بعض النقاد يقولون عن الشعر : هو (حديث الذكريات) فان (ورد زورث) يرى أن الشعر عاطفة تستعاد فى حال السكينة فى حين يذهب الجاحظ مذهبا آخر اذ يقول : « الشعر صياغة وضرب من التصوير».

ويقول عن الشاعر : هو الذى يستخدم القوافى والتفاعيل ليخلق العقل الواعى من وراء الفكرة وحرارة الانفعال . ومهمة الشاعر أن يصنع شيئا من كلماته ووسيلته اللغة ومادته التجربة الذاتية . ويشعر الشاعر بلذة الحياة أكثر

من سواه . وفى هذا الباب يتحفنا بفقرات حارة من هجومات (أفلاطون) على الشعراء فى جمهوريته لـ (هوميروس) و (هسيود) . كما يتعرض لنقد (أرسطو) للشعر ، ويقول عنه : هو أول ناقد نظر الى النقد كعلم وسن نظرية للشعر جرى عليها فى نقده ، ويتعرض للنقاد القدماء بشأن النقد والشعر لـ (أرسطو) و(قدامة) و(عبد القاهر الجرجانى) . ويقول عن الجرجانى: أنه سبق عصره بمذهبه فى النقد وهو أساس مدرسة الرومانتيكيين فى فرنسا.

ويشيد الباحث بآراء نقاد كبار فى الشعر من أمثال : العقاد ونزار قبانى وأبو ماضى ومندور والسحرتى وميخائيل نعيمة الذى كان طيلة حياته يبحث فى كل شعر عن نسمة الحياة ويقول : « فاذا عثرت عليها أيقنت أنه شعر ».

وفى (مرجعيات) هذا الكتاب نراه يعنى خاصة بالنقد العربى الحديث وتطوره وبنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجانى ، وبتيارات النقد الغربى الحديث ، وبمذاهب النقد الحديث ومناهجه الجديدة وبالأسس الحديثة فى نقد الشعر ، وهنا رأيناه يخصص فصولا عن (مدرسة فرويد وعالم اللاشعور) و(التجربة الشعرية) و (الوحدة العضوية للقصيدة) .

وفى الباب الثالث الذى عنونه : بالمدارس الكبرى فى النقد الحديث، يحدثنا د. خفاجى عن أهم المدارس النقدية الحديثة من (المدرسة الكلاسيكية) و(المدرسة الرومانتيكية) و(المدرسة الواقعية) و(المدرسة البرناسية) و(المدرسة الرمزية) و(المدرسة السيريالية) و(مدرستا الفن للفن والفن للحياة) و(المدرسة الوجودية) و(المدرسة الانسانية) و(مدرسة لامعقول) و(مدرسة الالتزام فى الشعر) .

وفى فصل آخر ، تحدث د. خفاجى عن (صلة النقد بعلوم اللغة)

و(النقد وعلم النفس) و (علم الجمال والنقد) و (التحليل البنيوى للنص).

وفى الباب الذى خصصه (للنقد الأدبى العربى والتطور) قدم عرضا عن النقد الأدبى العربى بين المحلية والعالمية . كما قدم أعمالا نقدية معاصرة وتراجم مفصلة لبعض النقاد ومنهم : د. شوقى ضيف والسحرتى ود. عبد العزيز شرف . وفى الفصل (من أجل نظرية جديدة فى النقد) يطرح المؤلف مشكلات نقدية عديدة منها جهود العرب فى مجال الضرورات اللغوية والفنية ويبين موازين أهم عناصر الجمال الأدبى التى يرشد اليها الذوق .

وحيال النظريات والأفكار العديدة والكثيرة ، يؤكد المؤلف على أن الكلمة هى رمز لمعناها (رمز للفكرة أو التجربة أو المعنى) وقيمتها فيما ترمز اليه ، وهذه هى نظرية (رمزية اللغة) التى بحثها (فنيت) الألمانى بعد عبد القاهر الجرجانى بقرون . ويؤكد الدكتور خفاجى على أن نظرية النظم التى قررها عبد القاهر فى (دلائل الاعجاز) تسبق فكر (سان سوسير) فى نظرية التحليل اللغوى .

ويرى المؤلف فى الكتاب أنه فى العصر الحديث يعتبر طه حسين والعقاد وزكى مبارك ومندور ومصطفى السحرتى من رواد النقد فى هذا العصر، ويلح فى خاتمة كتابه قائلا : « ان النقد له صلة بالذوق أيضا وعلى الناقد لكى لا يضل الطريق أن تكون له ثقافته الفنية وإتجاهه الفلسفى » .



الجديد فى فكر الخفاجى

ماذا أضاف الخفاجي في الفكر والأدب ؟

١ ـ تدوين تاريخ مدرسة أبولو فى كتابه « رائد الشعر الحديث » بجزئيه .

٢ ـ القصص التاريخى فى كتبه (قصص من التاريخ ـ مواكب الحرية فى مصر الاسلامية ـ مواكب النبوة ـ مشاهد من السيرة العطرة ـ مواكب الحياة) وغيرها .

٣ ـ كتاباته فى أدب التراجم فى كتبه : ابن المعتز ـ أبو عثمان الجاحظ ـ أبو دلف وغيرها .

٤ ـ الأدب الإسلامى ـ بكتاباته منذ الثلاثينات فى الإسلاميات .

٥ ـ كتاباته عن الأزهر ـ كتاب الأزهر فى الف عام بأجزائه الثلاثة ـ وغيره .

٦ - تأريخه للأدب المصرى فى كتبه - قصة الأدب فى مصر وغيره.

٧ ـ البحث عن الجذور كما فى كتبه عن قبيلة خفاجة .

٨ ـ سلسلة الأدب العربى .

٩ ـ سلسلة التراجم الأدبية وأعلام الأدب العربى .

١٠ ـ تأكيده على أن الثقافة العامة جزء من الأدب ومن الثقافة الأدبية.

١١ ـ كشفه عن أصول المقامة العربية .

١٢ ـ الكتابة عن أدب الشباب .

١٣ ـ كتابته عن أسطورة السموأل ووفاته ونفيه لها ، وكشفه عن الشخصية اليهودية وديانتها فى تمجيد نفسها طوال العصور .

١٤ ـ الكشف عن شخصية أبى الفتح الإسكندرى بطل مقامات بديع

الزمان الهمذانى .

١٥ ـ الكشف عن جامعة إسلامية كبرى قامت فى مصر منذ الفتح الاسلامى قبل قيام جامعة الأزهر بثلاثة قرون ونصف وهى جامعة الفسطاط الإسلامية التى كان من شيوخها الإمام الشافعى ، وتتلمذ فيها على شيوخها ابو تمام، وكان للمتنبى حلقة للشعر والنقد منها .

١٦ ـ الدعوة إلى إنشاء مجمع للفقه الإسلامى منذ عام١٩٦١، وتحقق ذلك بإنشاء مجمع الفقه الإسلامى فى مكة المترمة عام ١٩٨٠ .

١٧ ـ المناداة بأدب إسلامى فى وقت مبكر .

١٨ ـ الدعوة إلى إنشاء مسجد رسمى للدولة عام ١٩٥٣ ، وتحقق ذلك بإنشاء جامع مكرم فى ميدان التحرير .

١٩ ـ الدعوة إلى إنشاء مركز للقرآن الكريم ، ومركز للسنة النبوية ، وقد تحقق بعض ذلك بإنشاء مسجد الفتح وبقيام مركز السنة .

٢٠ ـ إنشاء سوق الفسطاط للشعر والنقد مع الدكتورين عبد العزيز شرف ومختار الوكيل .

٢١ ـ إنشاء جماعة أبولو الجديدة بالإشتراك مع الدكتورين شرف ومختار الوكيل .

٢٢ ـ الكشف عن أول كتاب فى النقد العربى وهو فحولة الشعراء للإمام الأصمعى .

٢٣ ـ الكشف عن جذور قبيلة الخفاجيين وعن الدولة الخفاجية التى قامت فى جنوب العراق منذ القرن الرابع الهجرى واستمرت أكثر من قرنين من الزمان.

٢٤ ـ الكشف عن الفكر النقدى عند الإمام عبد القاهر الجرجانى صاحب كتابى : أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز .

٢٥ ـ الدعوة إلى الإحتفال بمرور إثنى عشر قرنا على وفاة إمام العربية سيبويه عمرو بن بشر .

٢٦ ـ التاريخ للإمام ابن خلدون استاذا فى الأزهر الشريف وتحقيق أن المقدمة لإبن خلدون قد نقحها وراجعها المراجعة الأخيرة هذا المفكر الإسلامى الكبير فى الأزهر الشريف .

٢٧ ـ الكشف عن أن المسلمين هم أول من اكتشفوا الكهرباء .

٢٨ ـ الكشف عن معنى الآية الكريمة ومن آياته ﴿ خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ﴾ وأنها تشير الى معجزة ستتحقق وهى الإهتداء إلى انسان الكواكب الأخرى والتقائه بإنسان الأرض .

٢٩ ـ الكشف عن معنى الآية الكريمة فى وصف الجنة ودخول المؤمنين فيها بقوله تعالى ﴿ فتحت لهم الأبواب ﴾ وأن أبواب الجنة ستتفتح للمؤمنين دون أى عمل أو جهد أو تدخل آله أو مادة .

٣٠ ـ الكشف عن مؤاخاة بين المسلمين الأولين فى مكة قبل الهجرة، تعد هى المؤاخاة الأولى التى سبقت المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين فى المدينة .

٣١ ـ الدعوة إلى تأليف مجلس أعلى للدعوة الاسلامية (راجع كتاب الخفاجى ـ الإسلام والعصر ـ ص١١٧) .

جاحظ القرن العشرين .. سيرة وتحية

تمر فى هذا الشهر (يوليو ١٩٩٦) إحد وثمانون عاما على مولد الأديب الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى أمد الله فى عمره . والدكتور خفاجى يستحق بجدارة لقب جاحظ القرن العشرين فقد تشابه مع أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فى أشياء كثيرة أهمها تنوع ثقافته ، وغزارة إنتاجه ، وطريقته الموسوعية فى التأليف ، وحبه الاستطراد فى الإنشاء وحتى لا يجرفنى التيار الجاحظى فى الكتابة فإننى أوثر أن أتوقف عند محطات متميزة فى مسيرة الخفاجى :

١ ـ مؤلفاته التى تكاد تصل إلى خمسمائة مؤلف ما بين تأليف وتحقيق ومن أبرز ما حققه من كتب التراث : الإيضاح فى البلاغة للقزوينى، وديوان الإمام الشافعى ، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجى ، وقواعد الشعر لثعلب ، وحماسة أبى تمام .

ومن أبرز كتبه المؤلفة التى أعيد طبعها مرات : موسوعة تاريخ الأدب العربى التى غطت جميع عصور الأدب زمانيا ومكانيا ولايدانيها فى عمقها وشمولها إلا موسوعة د. شوقى ضيف أمد الله فى عمره وبالإضافة إلى ذلك قدم الخفاجى عشرات الكتب فى الإسلاميات والبلاغة والنقد الأدبى والتراجم والتاريخ والسيرة النبوية .

٢ ـ قدمت عن الخفاجى ثلاث رسائل جامعية فى الأزهر تناولت إحداها الخفاجى شاعرا ، وكانت الثانية عن الخفاجى ناقدا ، ودرست الثالثة جهوده فى دراسة البلاغة العربية . ولاشك فى أن تقديم ثلاث رسائل جامعية عن مثل هذه الشخصية الفذة يعكس مالها من ثقل علمى أكاديمى

متميز .

٣ ـ أسهم الخفاجى فى حياتنا الثقافية من خلال مواقع عديدة تولاها أهمها رئاسته لقسم الأدب والنقد بجامعة الأزهر ثم عمادته لكلية اللغة العربية ورئاسته لمجلس إدارة رابطة الأدب الحديث وعضويته فى لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة وعضويته بمجلس إدارة إتحاد الكتاب فضلا عن مشاركته الدائمة فى الصحف والمجلات العربية . كما عمل خبيرا فى مجمع اللغة العربية ونال وسام العلوم والأدب والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٨٣.

ويبقى سؤال :

لماذا لم يفز هذا العالم الفذ بجائزة الدولة التقديرية فى الأدب ؟

نرجو أن تعود تلك الجائزة إلى رشدها فتذهب إلى هذا الراهب الناشد العزوف عن الأضواء الى منزلة طائعة مختارة آسفة على تأخرها فى الوصول .. وهذا أقل ما يجب أن تقوم به الدولة إزاء شوامخ العلماء وبخاصة أمثال الخفاجى من الذين أصبحت أخلاقهم السامية غريبة فى عصرنا الكئيب . تحية إلى الخفاجى جاحظ القرن العشرين فى عيد ميلاده الحادى والثمانين . متعة الله بالصحة ونفع به وبعلمه .

اهرام ٦/ ١٢/ ١٩٩٦ .

ملحق بالكتاب

تكريم الخفاجى

رسالة كريمة من المفكر العربى الكبير الأستاذ عبد المقصور خوجة تدعونى لحضور حفل تكريمى فى ندوة الأثنينية فى الخامس والعشرين من نوفمبر ١٩٩٦ ـ الموافق السابع رجب ١٤١٧ هـ .

ولبيت هذه الدعوة النبيلة حيث سافرت إلى جدة ، وسعدت بمصاحبة الأديب الكبير الناقد والإعلامى والصحفى الأستاذ الدكتور عبد العزيز شرف، وأدينا العمرة نور وصولنا ، وأقام لنا الشاعر الكبير الدكتور عبد الله صالح باشراحيل حفل تكريم فى دارة العامرة بمكة المكرمة ، وتحدث فيها الدكتور الداعى ولفيف بن الأدباء والشعراء والنقاد والصحفيين والسعوديين ، وفى مقدمتهم الشاعر الكبير مصطفى زقزوق صاحب ديوان « مرابع الأنس » وغيره من الدواوين ، وتحدثت شاكرا للداعى الكريم دعرته النبيلة واحتفاءه الكبير بنا ، كما تحدث الدكتور شرف كذلك شاكرا وممتنا .

وفى يوم الجمعة ٢٢ من نوفمبر ١٩٩٦ سافرنا الى مدينة رسول الله ﷺ للزيارة ، حيث قصرنا المسجد النبوى الشريف داعين وميتهلين وزائرين؛ وعلم رئيس نادى المدينة الأدبى الأستاذ / الشاعر والأديب الكبير محمد هاشم رشيد بمقدمنا ، فدعانا إلى حفل تكريم وعشاء فى النادى الكبير الفخم مساء يوم الجمعة وتوجهنا أنا والدكتور الأستاذ عبد العزيز شرف يصحبة الشاعر المدنى المعروف الأستاذ محمد كامل خجا الى مقر النادى حيث قوبلنا بحفاوة بليغة وحيًانا مدير النادى الشاعر الكبير الأستاذ محمد هاشم رشيد بكلمة بليغة ، وتعاقب المتحدثون بجدة مرحبين ومكرمين ، وتحدث د/محمد العبد فرج الخطراوى والدكتور عبد العزيز الموافى وغيرهم ، كما تحدث الدكتور عبد العزيز شرف شاكراً رممتناً ، ثم تحدثت

حديثا طويلاً عن المدينة وفضلها فى القديم والحديث .

وبعد الحفل أقيمت مائدة عشاء كبيرة أتسعت لمئات المدعوين ، وودعنا بمثل ما أستقبلنا به حفاوه وتكريماً .

وفى يوم الأثنين الساعة التاسعة مساء أقيمت حفلة الاثنينية التكريمية حيث قابلنا رائد الاثنينية بكل حفاوة وتكريم ، وقدمنا لجمهور الحاضرين من حضور الادباء والشعراء والصحفيين والنقاد ، وكان فى مقدمتهم السفير المصرى الاستاذ محمد السيد عباس .

وأبتدئ الحفل بآيات الذكر الحكيم ، ثم تحدث رائد الاثنينية الاستاذ الكبير عبد المقصود خجا فتحدث عن الخفاجى وسيرته ومسيرة حياته حديثاً طويلاً . كما تحدث معالى الدكتور الكبير محمد عبده يمانى والشاعر الكبير حسن عبد الله القرشى والأستاذ الكبير عابد خزندار ، والشاعر الكبير محمد ضياء الدين الصابونى شاعر طيبة والفريق الأستاذ الكبير يحى المعلمى والأستاذ الكبير الدكتور عبد الله مناع وسواهم بكلمات رفافة بليغة ، وتحدث الدكتور الاستاذ عبد العزيز شرف بكلمة قيمة .

ثم ألقيت كلمة ، ودار حوار أدبى وفكرى بينى وبين الحاضرين حتى بلغت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، وأعقب الحفل التكريمى حفل عشاء فاخر امتد حتى الساعة الثانية صباحاً وانصرفنا بعدها الى الفندق شاكرين من أعماق القلب هذه الحفاوة البالغة وكان من جملة الحاضرين الشاعر العراقى الكبير يحيى السماوى والأديب السعودى الأستاذ أحمد ملائكة والدكتور أسامة ابراهيم هاشم الفلالى ، وسواهم.

قصيدة شاعر طيبة الكبير محمد ضياء الدين الصابونى

فى تكريم الخفاجى فى جدة فى السابع من رجب ١٤١٧ هـ

(١)

حيوا معى الدكتور (عبد المنعم) حيـوا معى الأدبـاء فى ذا الموسم

حيوا (الخفاجى) رائدا متميـزا للــه درك من أديـب ملهـم !!

حيوا (الخفاجى) عالما متواضعـا وبغيـر نـور العلم لـم يتكلـم

فى الحق لم تأخذه لومة لائـم لم يخـش صـولـة ظالـم متجهم

ياشيخ ، والدنيا تتيه بذكـره (شيـخ البيان) ، وفخـر كل معلم

كلماته تنسـاب فى أعماقنـا ويثيرهـا وهـج الهـوى المتضـرم

أنت الذى أعطى المكارم حقها ولقـد نهجتـم فى الطريق الأقـوم

بينى ، وبينك يا أخى مـودة يشـدو بها قلبى ، ويتلوهـا فمى

(٢)

قد كرموك فكرموا بك عالمـا ولأنت فينـا اليـوم جـد مكـرم

تهفو القلوب إليك فى شوق كما يهفـو الحجيـج (لمكـة) ، ولزمزم

شهدت لك الأجيـال أنك رائد متـقـدم ، والفـضـل للمتقـدم

كنت المنار لها ، وكنت ضياءهـا بـل كنـت فى التعليـم خـير معلم

ورسالة (التعليم) خير رسالـة تدعـو إلى الإيمـان ، أعظـم بلسم

عرفتك ساحـات البيان أديبهـا و (الجامعــات) ، وكل ناد معلـم

ولقد دعتك (الجامعات) فزرتها و غرســت آمــالا بقلـب النــوم

(٣)

قد كنت أرجو أن أراك (بطيبة) فزيـارة (المختــار) أعظم مغنــم

شد الرحال إلى زيـارة (أحمد) من أفضـل القربات للقلب الظمـى

من لم يزره كل شهـر مرة فلقد جفـــاه ، علمـت أم لـم تعلـم

شرفت به الدنيا ، ونالـت عزهـا أعظـم (بطـه) من نبى مكـــرم

من مثله فى المكرمات ، ومثلـه فى النائبات ، وفى الوغى كالضيغم ؟

(فمحمد) فخر العوالم كلهـــا ولقـد أتانـا فى (الكـتاب) المحكـم

(٤)

(مقصود) إنك بهجة لقلوبنـــا ولأنت خـــير مشجـع ، ومكـــرم

ولأنت فى (التكريم) جد موفق فى صفـوة العلمـــاء مثل الأنجم

ستظـل دارك للمحبـة مشعـــلاً وتنيـر للأدبـا (كـــدار الأرقـم)

لا يعرف الفضـــل الكريم لأهلـه إلا ذووه ، وكـــل قلـــب منعـــم

والمـــرء إن يفخـــر ففـــى آدابـه وسلـوك نهـــج الهاشمــى الأقــوم

دراسات مختلفة عن الخفاجي ومؤلفاته

أنوه هنابعديد من الدراسات عن الخفاجي ومؤلفاته كتبها العديدون من المفكرين والأدباء والكتاب ، وفي مقدمة هذه الدراسات ما يلي :

١ - دراسة عن كتاب " البحوث الأدبية " للخفاجي ، بقلم مؤلف هذا الكتاب رشيد الذواى نشرت في مجلة الصباح التونسية .

٢ - دراسة عن كتاب الخفاجي " الأدب العربي الحديث " بقلم رشيد الذوادى - مجلة الصباح .

٣ - دراسة عن كتاب الخفاجي وقصة الأدب في ليبيا بقلم الزوادى نشرت في جريدة الصباح التونسية عدد ٢٢/١١/ ١٩٩٠ .

٤ - دراسة عن كتاب " صفحات من الفكر المعاصر " منشورة في الصباح بقلم الذوادى ﴿ عدد ٢٨ / ٤/ ١٩٩٠ ﴾ .

٥ - دراسة عن كتاب " الأسلوبية والبيان العربي " تأليف خفاجي - فرهود . شرف - وهذه الدراسة بقلم الأديب المصرى الاستاذ عبد التواب يوسف منشورة في جريدة الحضارة عام ١٩٩٣ .

تحقيقات للخفاجي

حقق الخفاجي الكتب الثلاثة الآتية :

١ ـ ليس في كلام العرب لابن خالويه .

٢ ـ الأزمنة لقطرب.

٣ ـ ما اتفق لفظه واختلف معناه لأبى العميد ، وأخذها الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار لنشرها ثم نشر الأول منها باسمه دون عـــلم أو إذن من الخفاجي ـ وذلك عام ١٩٥٦ م .

الذوادى أديب أبوللى تونسى بقلم حسنى سيد لبيب

من جيل كتاب المقالة الأدبية فى العصر الحديث أعلام ورواد كبار جمعوا بين الثورة والتناغم ، وتحدوا العقبات ، وكونوا فناً أصيلاً يعبر عن عقل الانسان وشخصيته القوية ، ومن هؤلاء : الزيات والعقاد والمرصفى وطه حسين وهيكل وابو شادى واضرابهم أيضاً أمثال : عبد الله شريط ، من الجزائر ، والبشير بن سلامة من تونس ، فهؤلاء أجادوا تصميم (المقالة) وأقاموا الوحدة والتماسك فى هذا الفن الأدبى و (المقالة) فى الأدب العربى ليست من فنون الأدب المجهولة ، ومن أحد كتابها رشيد الذوادى وهو حلقة من حلقات تاريخ هذا الفن ، الذى أضبح من أقوى المؤثرات فى الأدب الحديث ورشيد الذوادى واحد ممن التزم بأدب المقال وهو أديب أبوللى ومن جيل الكتاب الذين يعتزون بأصالتهم العربية ، وتجاربهم الابداعية وعلي الأخص فى كتابة المقالة التى مرت بتطورات واقترنت الموهبة بالممارسة والتجربة ، والصفات العقلية بالمزايا الشخصية ، لذلك فجميع أعماله تعبر عن وجهة نظر ، وفحص لأمور الحياة وكلما استمعت اليه أو تحدث اليك أو قرأت مواقفه الفكرية ، احسست بقدرات الرجل فى صياغة ما يريد تبلغيه للناس من فكر ينزع أحيانا للانتماء الوطنى وأحيانا أخرى للانتماء العربى .

ورشيد الذوادى علم من أعلام الأدباء التونسيين ، كاتب تونسى ، أثرت بحوثه ودراساته جوانب كثيرة فى الأدب التونسى المعاصر ، ومن خلال مؤلفاته وبحوثه نجد شدة اهتمامه بالجمع بين الأصالة والمعاصرة وبين المضمون والشكل والوحدة الفكرية فى العمل الأدبى ، وكتاباته وثيقة ذات أهمية كبيرة فى التعريف بالأدب التونسى ، وشخصيات رواده ،

وبالموضوعات النقدية ، والمفاهيم التى تخدم الأدب العربى وتضىء مدارسه وتياراته .

وفى رحلتنا مع مؤلفات الذوادى نستشف فكره ككاتب مسئول ، يعرض مسئولية الأديب والتزامه نحو نفسه وبيئته وعصره .

وفى كتابه " جماعة تحت السور " نراه لا يكف عن الإجابة عن الاسئلة الحائرة فى ذهن قرائه ، ويتعرض لقضية التراث وكيف تفجرت منه بالأجناس الأدبية المختلفة .

إنه كاتب مبدع ، ومؤلف مجيد ، وناقد حقيقى .

ورشيد الذوادى وجه أدبى معروف فى الوطن العربى فهو أديب ، وناقد ، وباحث ، ومؤرخ .. من مواليد بنزرت فى ١٩٣٦/٣/٨ درس أولاً فى المدرسة القرآنية ببنزرت ، ثم التحق بـ (جامع الزيتونة) وأحرز على (التحصيل) عام ١٩٥٦ ، ثم درس بكلية الحقوق وباشر بعدها التدريس فى المعاهد التونسية بداية من أكتوبر ١٩٥٧ .

وفى بنزرت ترأس رشيد الذوادى عدة جمعيات ثقافية مثل (نادى التعليم) سنه ١٩٦٤ و (جمعية النهضة التمثيلية) عامى ٦٦ ، ١٩٦٧ ، كما ترأس تحرير مجلة (صدى الشمال) ، وتحمل إدارة جريدة (القنال) لسنة واحدة فحسب ١٩٦٩ ، وانتخب لمدة ثلاث سنوات كمستشار بلدى ، ثم انتخب أميناً لرئيس بلدية بنزرت لثلاث سنوات أخرى ، وفيما بين سبتمبر ١٩٨٠ وابريل ١٩٨٤ سمى كاتباً عاماً للجنة التنسيق الحزبى فى بنزرت وانتهى به المطاف أخيراً كمستشار ثقافى بسفارة تونس بالقاهرة ، ثم عين خبيراً لدى الجامعة العربية فى (دائرة البحوث والدراسات السكانية) .

بدأ الكاتب رشيد الذوادى نشاطه الأدبى بدراسة نشرها فى جريدة (الصباح) التونسية بتاريخ ١٩٥٦/١١/٢٩ بعنوان (الوطنية فى شعر خزنه دار) ، ثم توالت بحوثه ودراساته ، فكتب المقالة الصحفية بجريدتى :

(النداء ، والعمل) أعوام : (٥٨ - ١٩٦٠) ثم كتب الرحلة الادبية والدراسات التاريخية ، والترجمة ، وقصص الاطفال ، والدراسات النقدية.

كتب بحوثه هذه فى مختلف الصحف والمجلات فى تونس وخارج تونس .

وصدر لرشيد الذوادى من الكتب :

- يوغسلافيا كما شاهدتها : ط بنزرت ١٩٦٢ .
- بنزرت أرض البطولات ، (بالاشتراك) بنزرت ١٩٦٤ .
- حسن النورى : تونس ١٩٦٨ .
- أبطال وشهداء : بنزرت ١٩٦٨ .
- محمد الحبيب بوقطفة : بنزرت ١٩٧١ .
- أعلام من بنزورت : تونس ١٩٧١ .
- أدباء تونسيون : تونس ١٩٧٢ واعيد طبعه فى سنة ١٩٧٨ .
- على البلهوان : تونس ١٩٧٤ .
- جماعة تحت السور : تونس ١٩٧٥ .
- عظماء بلادى (مجموعة للاطفال) صدرت بتونس من سنة ١٩٧٧ (عشرون قصة) .

- هذه بنزرت : ١٩٨٠ .

- اشارات أدبية : تونس ١٩٨٢ قدمه محمد العروسى المطوى .

- الشابى ومدرسة ابوللو (بالاشتراك) تونس ١٩٨٦ تقديم البشير بن سلامة .

- أحاديث فى الادب ط مصر ١٩٨٦ تقديم انيس منصور .

- الرؤيا الابداعية فى أدب محمد مزالى (بالاشتراك) ط القاهرة ١٩٨٦ تقديم توفيق الحكيم .

مصور أعلام الفكر العربي

الجزء الرابع من موسوعة « اعلام الفكر العربي » بقلم سعيد جودة السحار ، وريشة الفنان جمال قطب يتضمن صفوة من أعلام العصر منهم عبد العزيز البشرى ، محمد طلعت حرب ، أحمد تيمور ، عبد العزيز جاويش ، محمد ناجى ، راغب عياد ، مجمد التابعى ، زكى نجيب محمود، محمد متولى الشعراوى د. عبد المنعم خفاجى د. عائشة عبد الرحمن ، احمد فتحى محمد حسنين هيكل د. محمد عيد القادر حاتم ، د. ثروت عكاشة ، أنيس منصور . د. جمال جمدان ، أحمد بهاء الدين ، صلاح جاهين ، محمود درويش ، وغيرهم وقد حرص سعيد السحار مؤلف الموسوعة على التوثيق فى المعلومات وترجمة الحياة . كما حرص الفنان جمال قطب ، على تشكيل الصور فى لوحات فنية معبرة يقول الفنان جمال قطب : « لقد التقت أفكارنا أنا وسعيد جودة السحار ـ ودائما نلتقينحو الأهداف النبيلة ـ فأخذ يمعن النظر فى هذه اللوحات التى رسمتها لأعلام الفكر العربى ؛ وبقلمه الرشيق وبمعلوماته الغزيرة وخبرته الطويلة فى ميادين النشر والثقافة ، بدأ يؤرخ ويعرف بها وهو مؤمن بأنها تجربة فريدة من نوعها حتى تكون مرجعا فنيا وعلميا عن هؤلاء الأفراد الاهرام ٤/ ٤/ ٩٧ .

وقد تضمنت الأجزاء الثلاثة الأولى ترجمات لأعلام الأدب والفكر فى مصر والعالم العربى ، ومن الاعلام الذدين ترجم لهم فى الجزء الأول : الأفغانى ورفاعة ومحمد عبده وشوقى وحافظ والرافعى والعقاد وهيكل والشابى وطه حسين ومطران وابو حديد وعبد الحميد جوده السحار ومى ورامى واسماعيل صبرى ـ وفى الجزء الثانى: الزهاوى والمنفلوطى والزيات والمازنى وجبران وصالح جودت وفى الجزء الثالث: د/ عبد العزيز شرف وسواه .

الفهرس